

The Scientific Institute for Advanced Training and Studies

JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE SPECIALIZED RESEARCH

VOL, 1 NO, 3. 2015

e-ISSN: 2289-8468

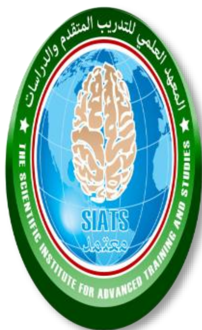
============================

Contact us

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Assoc. Prof. Dr. Solehah Yaacob **Editor in Chief:** dr.solehah@siats.co.uk

http:// jaslr.siats.co.uk/



SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد1 ، العدد 3، 2015

e-ISSN: 2289-8468

2015

مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية

مجلة اللغة العربية للبحوث التخصصية تصدر عن المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)، تعنى بنشر البحوث المتخصصة بعلوم اللغة العربية وآدابها، من النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي والأصوات والألسنيات الحديثة واللهجات والخط العربي والتعريب والدراسات الأدبية والنقدية والأسلوبية.

مجلة السر نافذة بحثية أمام العلماء والأساتذة وطلبة العلم لرفد المكتبة العربية بمزيد من البحوث الرصينة والدراسات الجادة للكشف عن سر وأسرار هذه اللغة التي أصبحت وما تزال معجزة قائمة بغيرها متمثلة بالنص القرآني الذي لا يعلى نص عليه بأي لغة من اللغات، فالجهود البحثية في علوم اللغة العربية وآدابها والكشف عن جمالياتها قديماً وحديثاً ما هي إلا محاولات لكشف سر هذه اللغة وكنهها، لاقتناع اللغويين والأدباء قبل غيرهم بسبب وأسباب اختيار خالق اللغات جميعها لتكون العربية هي اللسان الخاتم لنبيه صلى الله عليه وسلم، ولكتابه المعجز الخالد إلى يوم القيامة.



SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 1، العدد 3، تموز/ يوليو 2015م.

THE RHETORICAL REFERENCES AND THEIR IMPLICATIONS IN THE KORAN

الإشارات البلاغيّة ودلالاتها في القرآن الكريم

أ. د. نصرالدين إبراهيم أحمد حسين

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ماليزيا

1436هـ – 2015م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 18/2/2015
Received in revised form 20/3/2015
Accepted 1/4/2015
Available online 15/4/2015

Keywords:

الملخص

يعتبر هذا البحث دراسة للإشارات البلاغيّة ودلالاتها في القرآن الكريم، وركّز خاصة على التراكيب والتعابير التي تمسّ الفنون البلاغيّة، للوقوف على الدلالات والمعاني واللطائف التي تحملها بين طيّاتها. وتتجلى أهميته من خلال فتح أعين المتدبرين في نصوص التنزيل وتوجيهها إلى عظمة هذا الحقل الدلالي الواسع المتمثل في البيان القرآني. ثم بيان لطائف الأثواب البيانيّة التي تكمن في النص القرآني المعجز. وبيان الفروق الجمالية الدقيقة التي ما كان لقارئ القرآن أن يتذوقها لولا ورودها في ذلك الثوب البياني الأخّاذ. وهو بذلك يجلي السبق القرآني في كيفية استعمال تقنيات التعبير وتوظيفها في الخطاب البلاغي واللغوي والأدبي. كما يوضح ما تميّز به القرآن الكريم من أساليب بلاغية متنوعة، وتصاوير رائعة فاقت طوق البشر. ومشكلة البحث تتعلق بكيفية فهم تلك الإشارات البلاغيّة، والدلالات الخفيّة التي تحيط بالأسلوب القرآني. ويهدف البحث أن يخدم المسلم وغير المسلم في فهم الخطاب القرآني، ويساعد طلبة العلم – على اختلاف تخصصاتهم- في كيفية التعامل مع النص القرآني، كما يساعد في استنباط المعاني الخفيّة من النص القرآني؛ شارحاً ومحللاً. واستخدم فيه المنهج الاستقرائيّ، والمنهج التحليلي؛ الذي يقوم بإحصاء نماذج مختارة من القرآن الكريم، ثم تحليلها، ومناقشتها، واستنباط الإشارات البلاغيّة منها.

المقدمة

فاق القرآن الكريم طوق البشر في دقّة الأسلوب، وجمال التعبير، وبلاغة الكلم، حتى سجد له من يعتبرون أنفسهم الغاية في الفصاحة، والحجة في الإفهام. إن ما يميّز الخطاب في القرآن الكريم هو تلك الإشارات البلاغيّة، ودلالاتها التي حواها النص القرآني، وهي التي كست ذلك الأسلوب روعة وجمالاً وبهاء، حتى اهتزت له تلك النفوس التي حباها الله فصاحة التعبير، ورهافة الحس، وبداهة الذهن. فقد أدرك هؤلاء "ما لهذا البيان القرآني من إعجاز لا يملك أي عربي يجيد حسّ لغته، وذوقها الأصيل، سليقة وطبعاً، إلا أن يسلّم بأنه ليس من قول البشر"[1]. وسوف نقدّم في هذا البحث صورا من تلك الإشارات.

المبحث الأول: التقديم والتأخير

إن لغة العرب تزخر بفنون بلاغيّة متنوعة، ولعل هذه الفنون هي التي أسدت إلى لغة الضاد هذا التفرّد بين لغات العالم، ومن هذه الفنون بلاغة التقديم التي أضفت جمالا رائعا في تناول النص الأدبي وتذوّقه. إن تقديم النص في لغتنا العربية له أهمية بالغة الأثر، فليس من شأن العربي –صاحب البيان واللسان– أن يقدم كلاماً على نيّة التأخير، أو يؤخر كلاماً على نيّة التقديم حشو أو عبثاً، بل لهذا كله أسبابه الموجبة التي تخرج الكلام العربي في أبهى صوره؛ فصاحة وبياناً. ومن أجل هذا حرص العرب على سلامة المعنى، وفصاحة اللفظ، ودقّة التعبير.

عاب الإمام عبد القاهر الجرجاني على النحاة، عدم تعمقهم في معرفة أسرار الكلام ودقائقه، حيث لا ينظرون في الحذف والتكرار، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه إلا من حيث الأهمية وعدمها، والطرافة وموضع الندرة في الكلام. كما يرى أن من الخطأ أن يقسّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيكون مفيدا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعضه الأخر، وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذه قوافيه، ولذاك سجعه[2].

---

[1] الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة – 1971م (ص 34).

[2] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة – بيروت – 1419هـ – 1998م الطبعة الثانية، تصحيح أصله: الأستاذ الإمام محمد عبده والأستاذ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي (ص 87).

المطلب الأول: همزة الاستفهام

يذكر الإمام عبد القاهر أمثله مختلفة مع همزة الاستفهام؛ تارة يليها الاسم، ويكشف عما بينها من أسرار بلاغية، فإذا قلت: أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت باسم، كان الشك في الفاعل، من هو، وكان التردد فيه. وهذا الذي ذكر قائم مع الهمزة إذا كانت للتقرير، فإذا قلت: أأنت فعلت ذلك؟ كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل، يبين ذلك قوله سبحانه وتعالى عن قوم (النمروذ): ((**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**))(3) فهم لا يريدون أن يقرّ لهم بأن تكسير الأصنام قد كان، ولكنهم يريدون الاعتراف بأن ذلك كان منه هو. وقال هو عليه السلام في الجواب: ((**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**))(4). ولو كان التقدير بالفعل لكان الجواب: فعلتُ أو لم أفعل. ومعلوم أن الألفاظ تتبع المعاني، والمعاني تتقدم على الألفاظ، وإنما يكون ذلك لعلل وأسباب(5).

المطلب الثاني: التقدم بالزمان

كالأبعد من الآن مع الأقرب إليه، ومنه تقدم الوالد على الولد؛ فإن الوالد وجد في زمان لم يكن فيه الولد موجودا، فما كان من المعاني متقدما على غيره بأحد هذه الاعتبارات، أو بأكثرها، كان في العبارة كذلك.

ومن التقدم بالزمان قوله تعالى: ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**))(6)؛ فإن الظلمة سابقة على النور في الإحساس، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي، والطفل في بطن أمّه أول ما يشعر به هو الظلام، حتى يخرج إلى دنيا الواقع، إلى دنيا النور، ومنه قوله تعالى: ((**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**))(7)، وحاسة السمع تنمو وتتطور لدى الطفل قبل حاسة البصر.

كما نلحظ في قوله تعالى: ((**وَالْفَجْرِ • وَلَيَالٍ عَشْرٍ • وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ • وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ • هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ • أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ • إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ • الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ • وَثَمُودَ**

(3) سورة الأنبياء، من الآية: [62].

(4) سورة الأنبياء، من الآية: [63].

(5) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص88.

(6) سورة الأنعام، من الآية: [1].

(7) سورة النحل، من الآية: [78].

الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي • وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ))[8] فالترتيب الزمني واضح في هذه الآيات، بحيث لا يخفى على كل ذي بال، فقوم عاد، سبقوا قوم ثمود، وقوم ثمود سبقوا قوم فرعون، ولذلك جاء هذا الترتيب متناسقا، ومتفقا مع الفترات التاريخية التي عاشتها هذه الأقوام، دون تقديم أو تأخير. وهذا يؤكد أن القرآن الكريم إنما هو وحي من عند الله سبحانه وتعالى، دقيق في ترتيبه وتسلسل أفكاره.

المطلب الثالث: التقديم بالرتبة

من ذلك قوله تعالى: ((**وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**))[9].

هذه مواضع تتفاضل فيها الدرجات والرتب، فتقديم الأنبياء واضح، فهم أصحاب الرسائل السماوية الذي اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لهذه المهام الصعبة العسيرة، والصديقون؛ هم أول من آمن بالرسل وصدّقوا الرسالات السماوية، ومنهم الشهداء، والشهداء هم الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الحق، كلمة الدين، والصالحون هم من صلحوا بتعاليم هؤلاء الأبرار، وتمسكوا بالصراط المستقيم، وعملوا على ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى، وتجنب نواهيه، واستقاموا في حياتهم.

وكذلك قوله تعالى: ((**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**))[10].

فإن الذين يأتون رجالا "راجلا على قدميه" الغالب أن يكونوا من المكان القريب، أي يجاورون الكعبة بيت الله العتيق، والذين يأتون على الضامر "الدواب: الإبل والفرس ..." يأتون من المكان البعيد، ومن ثم تكون قيمة المجاورة للبيت الحرام، قيمة لا تبلغها قيمة.

المطلب الرابع: التقدم بالشرف

من التقدم بالشرف في قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**))[11]. نلاحظ الجمع بين الأعلى والأسفل، فالوجه والرأس يحتويان على كل الحواس المهمة بالنسبة للإنسان، وهما مكانا تشريف وتقدير.

---

(8) سورة الفجر، من الآية: [1-10].

(9) سورة النساء، من الآية: [69].

(10) سورة الحج، من الآية: [27].

(11) سورة المائدة، من الآية: [6].

المطلب الخامس: التقديم للغلبة والكثرة

ومن ذلك قوله تعالى: ((**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ**))[12]. قدم "الظالمين" وذلك لكثرتهم، ثم المقتصد ثم السابق. وكذلك قوله تعالى: ((**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**))[13]؛ لأن السرقة في الذكور أكثر، فالسجون تمتلئ بالرجال. وقدم في الزنا المرأة في قوله تعالى: ((**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**))[14]؛ لأن الزنا فيهن أكثر وأعمّ، والمرأة بما وهبها الله من جمال وأنوثة تجعلها موضعا للفتنة.

وأما قوله تعالى: ((**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**))[15] فقال الزمخشري: "سيقت الآية التي قبلها لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأة هي المادة التي نشأت منها الخيانة، لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له، وتمكنه لم يطمع، ولم يتمكن، فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدأ بذكرها، وأما الثانية فمسوقة لذكر النكاح، والرجل أصل فيه، لأنه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب"[16].

المبحث الثاني: بلاغة الذكر والحذف

لا تذكر كلمة في القرآن الكريم إلا إذا اقتضاها السياق، وتطلبها النظم، ولا تحذف كلمة في القرآن إلا وحذفها أبلغ وأنسب، وأكثر ترابطا في الأسلوب، وأحكم للصياغة الفنية المعجزة؛ لأن نظم القرآن –كما قلنا أكثر من مرة– أرفع أنماط الكلام، ومن ثم فلا حشو، ولا تطويل يفسد به المعنى، ويترتب عليه الملل، ولا اختصار تستغلق به الأفكار، ويعسر معه الفهم، بل لكل مقام مقال، ولكل موقف نمط عجيب من النظم، بحيث تتداعى الألفاظ تداعيا طبيعيا حسبما تتطلبه المعاني، وتقتضيه الأفكار.

بل وتنحدر في سهولة ويسر حتى تتماسك في مواضعها التي هيئت لها، فلذكر في الصياغة القرآنية، وللحذف

---

(12) سورة الفاطر، من الآية: [32].

(13) سورة المائدة، من الآية: [38].

(14) سورة النور، من الآية: [2].

(15) سورة النور، من الآية: [3].

(16) الكشاف، الزمخشري – القاهرة الطبعة الثانية (ج 3 ص 168).

مجاله هو الآخر، ووراء كل منهما من المعاني الإضافية ما يؤكد فكرة النظم القرآني، الذي يتعلق بمناط الإعجاز، فانظر إن شئت قوله تعالى: **((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ))**[17]، مما ذكر فيه المسند إليه أو المبتدأ، فإنك ترى أن اسم الجلالة قد ذكر في الجملة الثانية، ليستقر في النفس مرتبطا بخبره، وليفيد بتعريفه وتعريف الخبر بأنه مخصوص بأن يقصده الناس في حوائجهم، ويتطلعوا إليه في ملماتهم ونوازلهم، كما أن إعادة المسند إليه باللفظ الصريح دون الضمير يشعر بثبوت الخبر في النفس وتمكنه من مجامع الإنسان، بالإضافة إلى ذلك التناسق الموسيقي الذي يتضح في ذكر لفظ الجلالة، والذي يختل، لو استعضنا عنه بالضمير.

ومنه قوله عزّ وجلّ: **((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا))**[18] لم يقل: قل (هي) من أمر ربي، ولو قال ذلك لاختل النسق، ولكنه أعاد لفظ الروح صريحا بعد فعل القول، ليرتبط المبتدأ بخبره، ولتستقل الجملة، وهي في معرض الرد على الذين كانوا يكثرون من السؤال عن الروح، ويشغلون أنفسهم بالبحث فيما وراء الطبيعة، مما اختص به الله جلّ وعلا، فالجملة حينئذ بإيحائها تفيد بأن الروح بالذات من الأسرار المستغلقة على البشر، فعليهم أن يريحوا أنفسهم من عناء البحث عنها، ويتوجهوا بهممهم إلى ما تدركه طاقتهم البشرية. وما جدوى البحث في الروح؛ وقد كلّت عن الوصول إليها أفهام الفلاسفة، وعقول المفكرين؟ فالذكر هنا خير من الحذف؛ لأن الحذف معه يختل الأسلوب والاتفاق.

ومنه قوله تعالى: **((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى • قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى • قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى • فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى • قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى))**[19].

يذهب البلاغيون إلى أن ذكر المسند إليه هنا رغبة في إطالة الكلام، وتلذذا بتلك الإطالة، ومما جعل موسى يتحدث بما لم يسأل عنه فقال: ((أتوكا عليها ...))إلخ. وهذا في رأيي سبب غير مقنع. فالله سبحانه وتعالى يسأل سيدنا موسى عن شيء يعلمه بعلمه لا يحتاج إلى السؤال عنه؛ لأن الأمر سيكون فيما بعد موضع المعجزة، حيث تنقلب العصا إلى حيّة تسعى، فتتحول من أصلها كعصا إلى شيء خارج عن تكوينها بمشيئة الله سبحانه وتعالى. والتأكيد في خطاب سيدنا موسى واضح، أن هذه عصا وليست شيئا سحريّا، فصيغة التمليك واضحة في

---

[17] سورة الإخلاص، من الآية: [1-2].

[18] سورة الإسراء، من الآية: [85].

[19] سورة طه، من الآية: [17-21].

قوله: ((هي عصاي))، ثم ذكر المهام التي تقوم بها، يعني تأكيدا آخر من نوعه، أنها عصا عادية، ثم يطلب الله سبحانه وتعالى منه أن يلقيها على الأرض، حتى لا يفزع سيدنا موسى من العصا وهي تتحول بين يديه إلى حيّة، فالمشهد مفزع، يحتاج إلى ثبات واطمئنان، فيخاطبه ربّه مطمئنا إياه ((سنعيدها سيرتها الأولى))، إذن فالأمر ليست مجرد إطالة وتلذذ، فالقرآن الكريم كتاب دقيق في خطابه الأسلوبي والمعرفي.

وانظر بعد ذلك إلى جمال النسق: ((قال هي عصاي))، ولم يقل: (ما بيميني عصاي). ولا شك أن الآية أبلغ وأتم في حلاوة الإيجاز. فهي منسجمة مع النسق قبلها وبعدها، وذكر موسى صريحا في تلك الآيات مرتين؛ لأن المقام مقام ذعر وهلع، فهو محتاج إلى أن يطمئنه ربه بندائه باسمه الصريح الذي يشعره بأنه معه ولم يتنازل عنه، ولم يتركه نهبا للموقف العصيب الذي تحولت فيه العصا حيّة تلقف ما يأفكون.

يقول الإمام الزمخشري في الكشاف: "لما رأى ذلك الأمر العجيب الهائل، ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الأهوال والمخاوف. وعن ابن عباس: انقلبت "ثعبان" ذكرا يبتلع الصخر والشجر، فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر، فقال له ربه: ((خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى))، فهي أنشئت أول ما أنشئت عصا، ثم ذهبت وبطلت بالقلب حيّة، فسنعيدها سائرة سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها، ولك فيها المآرب التي عرفتها"[20].

وبتأمل قليل نلاحظ أن الله جلّ وعلا كان يعدّ موسى للذهاب إلى فرعون، وهو من هو في التسلط والجبروت والظلم، وموسى لم يتمرس بعد بمعجزاته من العصا، وضم يده إلى جناحه تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى. فكرر ذكر اسمه في ثلاثة الأرباع الأولى من سورة طه ست عشرة مرة، وهي التي تنتهي عندها قصته مع فرعون مصر، فكان لابدّ من الذكر حتى تزول آثار الخوف، وتكسوه سمات الاطمئنان، ويقدم إلى فرعون الطاغية[21].

الحذف:

ومن الصور البلاغية الرائعة التي ذكرها الإمام عبد القاهر الجرجاني، وقد تضمنت كثيرا من دلالات الأسلوب الإعجازي وإشاراته في القرآن، قول الله تعالى: ((**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ • فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**))[22].

[20] الكشاف، الزمخشري (ج 2 ص 431) .

[21] فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي عامر، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة – القاهرة – 1975م (ص 188-189).

[22] سورة القصص، من الآية: [23-26].

في هذه الآيات "حذف مفعول به في أربعة مواضع؛ إذ المعنى: وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا: لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما. ثم أنه لا يخفى على ذي بصر أنه ليس في ذلك كله إلا أن يترك ذكره ويؤتي بالفعل مطلقا، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقيٌ، ومن المرأتين ذودٌ، وأنهما قالتا: لا يكون منّا سقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام من بعد سقي، فأما ما كان من المسقي، أغنما أم إبلا أم غير ذلك؟ فخارج عن الغرض، وموهم خلافه ذاك أنه لو قيل: وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود. فأنت لا تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما تجد؛ لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه"[23] .

فالسقي من الناس، والذود من المرأتين، وقولهما: لا يكون منا سقي، وسقى موسى لهما، وحي لنا بالأفكار التالية:

أولا: بالزحام الشديد على موارد الماء.

ثانيا: على الحياء والضعف.

ثالثا: على الاحتشام والتريث والأناة حتى تحين الفرصة المناسبة.

رابعا: على الشهامة والمروءة ونبل النفس.

ولن تكون هذه الدلالات إلا إذا قصد بحذف المفعول إثبات الفعل في ذاته وفيما يستتبعه. إن القرآن كلام الله وحي السماء وبلاغته على الأرض، فاستعماله للعبارات في غاية من الدقّة. فالأعراب فرع المعنى وتصحّ الجملة بتمام المعنى، فالأفعال –كما نرى– متعدية وليست لازمة الفاعل ولكن بالرغم من ذلك حذف المفعول به؛ لأن ذكره لا يعبّر عن هذه الدلالات الخفيّة التي تكمن من وراء الأسلوب القرآني، ولا تجعل القارئ يفكر في ذلك الكم الهائل من الصور الشاخصة، والصفات المعنوية والمعاني الثواني وراء هذا التعبير القرآني.

فقد "جاء حذف المفعول في الآية الأولى إشعارا بالزحام الشديد، إذا قرنا هذا بما ذكر في الآية من كلمات توحي بذلك مثل: ((أمة من الناس)). أمّا عن دلالتي الحياء والضعف –في الموضع الثاني– فهما يستوحيان من إضافة الذود للمرأتين عن أغنامهما، والتفكر في ذلك بعمق، فالمرأة ليست كالرجل قوة ومتانة وجرأة، فالله خلقها لتكون هكذا، ولله في خلقه شؤون. أمّا عن دلالات الحذف في الموضع الثالث الدال على الاحتشام والتريث والأناة، فيكمن في التعليل الواضح اللائي جئن به، وهو عدم التسرع في السقي لوجود الرعاء، ثم الاعتذار عن

[23] دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص 116–117).

وجودهما بحجة أن والدهما شيخ كبير لا يستطيع الحركة، وهذا عذر مقبول، وبرهان واضح على طهرهما واحتشامهما. أمّا في الموضع الأخير والذي يدل على الشهامة والمروءة ونبل النفس فهو يتجسد في القيام بالسقي دون أجر يدفع، والذهاب إلى الظل مباشرة دون أسئلة قد تدخل الحرج إلى قلب المرأتين"[24].

المبحث الثالث: الفاصلة والسجع والتوازن

ذكر الدكتور زكي مبارك في أن السجع، عندما يخاطب الوجدان والقلب في القرآن، يسلك طريقة العرب في العصر الجاهلي، فيقول: "ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الثناء والخوف والرجاء سورا مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين، ولا ننسى أن الوثنية كانت دينا يؤمن به أهله في طاعة الخشوع، وكانت لهم طقوس في هياكلهم، وكانت تلك الطقوس تُؤدى على نحو قريب مما كان يفعله أهل الكتاب من النصارى واليهود، والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب في صيغتها الفنيّة مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات، الفرق بين الملتين يرجع إلى المعاني، ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال، ولو دخلت كنيسة في باريس، ورأيت كيف تتلى الدعوات بعد الصلاة، لتذكرت الصورة في مساجد القاهرة، ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية. فاللون الديني واحد، وصورة الأداء تكاد تكون واحدة، فلا تحسب أن القرآن غيّر مناهج الناس في يوم وليلة، وتذكر أنه لم يشأ إلا أن يصلح من عقائد من دعاهم إلى الله، وأن يروضهم على فكرة واحدة هي التوحيد. ومعنى هذا أن القرآن يسجع؛ لأن السجع كان فنا من فنون القول والدعاء عند الجاهلية، والصلوات بطبيعتها تحتاج إلى لون من الفن يتمثل في السجع؛ لأن فيه استجابة للموسيقى الوجدانية في قلوب المتبتلين"[25].

إذن السجع أو الفاصلة أو التوازن كان شيئا كائنا في الديانات السماوية التي هبطت في الجزيرة العربية، ولذا استقبلها العرب بارتياح وطمأنينة، حيث اخترقت حاجز الحس والوجدان لديهم، فتعاملوا معها كما يتعاملون مع شيء مألوف لديهم، ولكن بالطبع، طريقة السجع في القرآن الكريم وأدائه، يختلف عمّا عند هؤلاء، وذلك لاختلاف نوعيّة الخطاب الأسلوبي، والمعرفي للقرآن الكريم، فطريقة التوظيف تختلف، وهذا ما تميّز به القرآن الكريم عن غيره من ديانات سماوية.

---

[24] وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم، نصرالدين إبراهيم أحمد، مركز البحوث، الجامعة الإسلاميّة العالميّة – ماليزيا – 2005م الطبعة الثانية (ص 121-122).

[25] النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الأولى (ج 1 ص 65).

ونضرب بعض الأمثلة على كثرة السجع في القرآن، وأنه يأتي عفو الخاطر، وليس على حساب المعنى؛ لأن المعنى أصل في القرآن، والسجع شكل من أشكال التعبير يؤدي إلى المعنى المقصود، ومن ذلك قوله تعالى: ((**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ • مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ • سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ • وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ • فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**))[26].

فتبّت بمعنى هلكت، وهذا دعاء عليه. واليد تعني النفس، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ((لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة))، وبعده إخبار بهلاكه. وليست كلمة (وتب)، زيادة اقتضتها الفاصلة، كما يذهب البعض، فالقرآن لا تجد زيادة فيه أو حشوا؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، القادر المصور البارع، فهذه اليد التي تعرضت لسيد المرسلين يجب أن تعاقب أولا على فعلتها الآثمة، حتى لا يلتفت النظر إلى معاقبة اليد فقط جاءت كلمة "وتب" للخروج من الخاص إلى العام؛ إذ ليس المقصود هنا هلاك اليد فقط بل يمتد ذلك إلى النفس كلها لما أرتكبته من آثام. إذا كلمة "وتب" ليست لتناسق العبارة من الجانب الموسيقي، بل فيها معاني إضافيّة. وكذلك كلمة "وما كسب"، المال عصب الحياة، ولكن ليس وحده، فأبو لهب يمتلك العبيد، والمكانة بين قومه، والسيادة، والجنود، والولد ... إلخ. ولذا جاءت هذه الكلمة لتظهر هذه الدلالات الخفية، فالأمر لا يتعلق بالمال وحده إذا. أمّا كلمة "ذات لهب"، فهي كلمة ليست زيادة أو حشوا، وذلك لأن النار الخامدة لا تحرق، إلا إذا ارتفع لهبها وتطاير شرارها.

ومن هنا نعلم، أن اللفظ والمعنى في القرآن الكريم يتكملان، فلا يطغى أحدهما على الآخر؛ لأن القرآن كلام الله الخالق البارئ المصور. ومن أمثلة ذلك قوله: ((**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا • وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا • وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا • وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا • وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا • وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا • فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا • قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**))[27]. وكذلك قوله: ((**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ • إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ • الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ • وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي • وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ • الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ • فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ • فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ • إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**))[28].

وللأستاذ أحمد حسن الزيات رأي في ذلك، يقول: "رأيت معي أن تقطيع المنثور من الكلام جملا أو فقرا أو فواصل عمل بلاغي تقضيه حالة النفس وحركة الذهن، وطبيعة التنفس، وهذا التقطيع وإن نشأ في اللغة على

---

(26) سورة المسد، من الآية: [1-5]..

(27) سورة الشمس، من الآية: [1-10].

(28) سورة الفجر، من الآية: [6-14].

مقتضى الطبع له فلسفة وهندسة وموسيقى، هن عناوين علم البلاغة وبراهين فن البليغ. فالهندسة والموسيقى، ملاكهما التلاؤم بين أجزاء الفقر وفواصلها، فإن كانت الفواصل متعادلة فهو التوازن، وإن كانت متماثلة فهو السجع، مثال الأول: ((**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ • وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**))[29]. ومثال الآخر: ((**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ • يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ**))[30].

فبين المستبين والمستقيم تعادل، وبين نعيم وجحيم تماثل. إذن الازدواج على إطلاقه، والسجع على تقييده يؤلفان الموسيقى في الأسلوب البليغ، منذ كان للعرب ذوق، وللعربية أدب، فليس الحال فيهما هي الحال في سائر الأنواع البديعية التي نشأت في الحضارة ونمت بالترف، وسمجت بالفضول وفسدت بالتكلف. فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات والمزاوجة بين الكلمات والمجانسة بين الفواصل إنما ينكرون جمال البلاغة في دهر العروبة كله"[31].

وتتجلى شاعرية اللغة العربية في جانب ثر، وهو مجال الإعراب، أي العبارات في حركات الإعراب، "وهذا الإعراب المفصل في هذه اللغة الشاعرة هو آية السليقة الفنيّة، في التراكيب العربية المفيدة، توافرت لها مفهومة بعد أن توافرت لها حروفا تجمع مخارج النطق الإنساني على أفصحها وأوفاها وبعد أن توافرت لها مفردات واضحة ترتبط فيها المعاني بضوابط الحركات والأوزان. وهذه الحركات والعلامات تجري مجرى الأصوات الموسيقية وتستقر في مواضعها المقدّرة على حسب الحركة والسكون في مقاييس النغم والإيقاع"[32].

والإيقاع الموسيقي منتشر في القرآن الكريم جميعه، فحيثما تلاه المؤمن أحسّ بالإيقاع الداخلي في سياقه، ولكنه يبرز بروزا واضحا في السور القصار، والفواصل السريعة، ومواضع التصوير، والتشخيص بصفة عامة، ويتوارى قليلا أو كثيرا في السور الطوال، ومن ذلك قول الله تعالى: ((**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى • مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى • وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى • إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى • عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى • ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى • وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى • ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى • فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى • فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى • مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى • أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى • وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى • عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى • عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى • إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا**

---

[29] سورة الصافات، من الآية: [117-118].

[30] سورة الانفطار، من الآية: [13-14].

[31] دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة – القاهرة (ص 114).

[32] اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1960م الطبعة الأولى (ص 20-21).

يَغْشَى • مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى • لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى • أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى • وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى • أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى • تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى))[33].

ويعلّق الأستاذ سيد قطب على هذه الآيات ذاهبا إلى أن هذا الإيقاع الموسيقي متناسق متزن في القرآن الكريم، وهذا التناسق والاتزان فيه ألوان مختلفة؛ منها أن يكون إيقاعا ناتجا عن فواصل متساوية في الوزن تقريبا متحدة في حرف التقفية تماما، ذات إيقاع موسيقي متحد، ويكون اختيار الألفاظ تبعا لهذا الإيقاع، بحيث إذا حذف لفظ منها اختلت القافية، وتأثر الإيقاع. مثال ذلك، الإيقاع الموسيقي لسورة النجم، وهو هنا متوسط الزمن تبعا لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحد تبعا لتوحد الأسلوب الموسيقى، مسترسل الروي كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي.

واختيرت الألفاظ لتناسب الإيقاع في قوله: ((أفرأيتم اللأت والعزى • ومناة الثالثة الأخرى)) فلو أنك قلت: أفرأيتم اللأت والعزى ومناة الثالثة، لاختلت القافية ولتأثر الإيقاع. كذلك في قوله: ((لكم الذكر وله الأنثى • تلك إذن قسمة ضيزى))، فلو قلت: ألكم الذكر وله الأنثى تلك قسمة ضيزى ... لاختل الإيقاع المستقيم بكلمة إذن، فكلمتا (الأخرى)، و(إذن) جاءتا لتؤديا معنى في السياق، ولتؤديا تناسبا في الإيقاع في وقت واحد[34].

ومن ثم يذهب الأستاذ سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن" إلى أن في القرآن الكريم إيقاعا موسيقيا جذّابا، وهذا الإيقاع يتألف من عدّة عناصر "من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة، ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة، ومن اتجاهات المد في الكلمات، ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات، ومن حرف الفاصلة ذاته. ثم يؤكد ما ذهب إليه قائلا: "ولأن القرآن الكريم إعجاز بياني كامل، ويتمثل فيه الأسلوب الفني المعجز، فلا بدّ من أن يوجد فيه الإيقاع الموسيقي المعجز. ولا ضرر من نسبة الجرس والإيقاع أو الموسيقى إلى أسلوب القرآن، وأن نلحظ وجودها فيه وأن نبينها للناس كافة؛ لأن القرآن الكريم يسير على سنن العربية وأساليبها في التعبير. والموسيقى تكمن في الخطاب الأسلوبي للقرآن الكريم، وهي ميزة تميّزه عن الاستخدام اللغوي العربي المعتاد، وهذا الجانب له خاصيته التي جعلت العرب يقفون أمامه حيرى، والإيقاع الموسيقي فيه يتألف من عدة عناصر:

1- من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة.

2- ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة.

---

(33) سورة النجم، من الآية: [1-22].

(34) التصوير الفني، سيد قطب، دار المعارف – مصر الطبعة الثانية (ص 86-87).

3- ومن اتجاهات المد في الكلمات.

4- ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات.

5- ومن حرف الفاصلة ذاته"[35] .

ويرى الدكتور عبد الحميد حسن: "كل هذه العوامل الصوتية من مخارج الحروف، وصفاتها وحركاتها، وتتابع هذه الحركات أو تفرقها، تجعل للكلمة قوة موسيقية خاصة، ورنينا يطبعها بطابع خاص"[36].

ونخرج من هذا، أن الإيقاع الموسيقي يرتبط بالتحليل الأسلوبي، وهذا الثاني يساعد على فهم وتذوق الخطاب المعرفي في القرآن الكريم، فالنص القرآني يتكون من أسلوب، وخطاب معرفي، وفي هاتين الحالتين، نحتاج إلى التحليل الأسلوبي الدقيق للكشف عن معاني القرآن الكريم ودلالالته الخفية.

المبحث الرابع: دقة التعبير في القرآن الكريم

كان من الأهداف التي سعى إليها الإمام عبد القاهر الجرجاني في نظريته في النظم القرآني هي شرح ما تميّزت به أساليب القرآن الكريم من دقة وفنيّة وإبداعيّة فاقت طوق البشر.

ومن أمثلة هذا النمط القرآني المبدع الذي تحدث عنها الإمام عبد القاهر، قول الله تعالى: ((**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ**))[37] حيث قال: "ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسنا وروعة، ومأخذا من القلوب، أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرّت، فقلت: وجعلوا الجن شركاء لله، وأنت ترى حالك حال من نقل عن الصورة المبهجة، والمنظر الرائق، والحسن الباهر إلى الشيء الغفل الذي لا تخرج منه بكثير طائل، ولا تصير النفس به إلى حاصل وسبب ذلك هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير، بيان هو أن نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء، وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن.

وإذا تأخر فقيل: جعلوا الجن شركاء لله، لم يفد ذلك، ولم يكن فيه شئ أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى، أما إنكار أن يعبد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه، وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن "شركاء" مفعول أول لجعل و"لله" في موضع المفعول الثاني، ويكون "الجن" على كلام ثان، وعلى تقدير كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء لله تعالى؟ فقيل الجن.

[35] في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار إحياء الكتب العربية – مصر الطبعة الثانية (ج 4 ص 2039).

[36] الأصول الفنيّة للأدب، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1964م الطبعة الثانية (ص 40).

[37] سورة الأنعام، من الآية: [100].

وإذا كان التقدير في "شركاء" أنه مفعول أول و"لله" في موضع المفعول الثاني وقع الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شئ دون شئ وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن، لأن الصفة إذا ذكرت مجرّدة غير مجراة على شئ كان الذي يعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة.

فإذا قلت: ما في الدار كريم: كنت نفيت الكينونة في الدار عن كل من يكون الكرم صفة له وحكم الإنكار أبدا حكم النفي. وإذا أخر فقيل: وجعلوا الجن شركاء لله. كان "الجن" مفعول أول، والشركاء مفعولاً ثانيا، وإذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصا غير مطلق من حيث كان محالا أن يجري خبرا على الجن ثم يكون عاما فيهم وفي غيرهم، وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى الجن خصوصاً أن يكون شركاء دون غيرهم، جل الله أن يكون له شريك، وشبيه بحال"[38].

وبالإضافة لما ذكر الإمام الجرجاني، فقد أفاد تقديم لفظ الجلالة في الآية، وتأخير لفظ الجن، الأمور التالية:

1- إثبات الوحدانية لله وحده.

2- انفراده بالعبادة والاستعانة.

3- إنكار الشراكة في عبادته.

4- نفي وإنكار عبادة الجن معه.

5- عدم الاستعانة بالجن.

6- اختصاصه بالتبجيل والاحترام والتقديس.

وتتجلى الوحدانية لله عزّ وجلّ في تقديم لفظ الجلالة، فالمقدم هو المختص بالعبادة دون أدنى شك. أمّا عن حقيقة انفراده بالعبادة والاستعانة فتظهر في إضافة حرف اللام للفظ الجلالة والتي تفيد التمليك. وتتبيّن قضية إنكار الشراكة في عبادته، في فصل لفظ الجن عن أسم الجلالة، وإبعاده في نهاية الآية، حيث لا تجد عطفا بين لفظ الجلالة والجن. والأسلوب الإنكاري المستوحى من الآية ينكر وينفي عبادة الجن معه، وعدم الاستعانة بهم. أمّا عن دلالة التبجيل والتقديس، فواضحة من صيغ التقديم والتمليك والنفي لعبادة الجن مع الله عزّ وجلّ.

---

[38] دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني (ص 192-193).

المبحث الخامس: دقة الوصل بحروف العطف

قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم: ((**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ • وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ • وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**))[39].

ذكر ابن الأثير، وتبعه العلوي أن عطف السقي على الإطعام بالواو إرادة الجمع بينهما، وعطف الشفاء على المرض بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، ثم عطف الثالث بثّم؛ لأن الإحياء بعد الموت إنما يكون بمهلة وتراخ[40]. أما قول ابن الأثير والعلوي: إن تقديم الإطعام على الإسقاء، والإسقاء على الإطعام جائز لولا مراعاة حق النظم، فلا يخلو من مجازفة؛ لأن الاستعمال القرآني قدّم الإطعام على الإسقاء، والأكل على الشرب، والعلة أنه ترتيب بالطبع والمنطق والأهمية والوظيفة الحيوية، ففكرة الجواز لا تناسب الموقف في هذا الأمر.

وتعبير الإمام العلوي بأن مراعاة حسن النظم والمشاكلة أوجب ذلك يلم بشيء من أسرار التقديم هنا ولا يستوفيها، ثم إن قول ابن الأثير إن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما، يثير الريبة في موقف ابن الأثير الذي يشن حربا على الإغراق العقلي والفلسفي في معالجة البلاغة، ثم ينسى هو ذلك أحياناً، وربما لم يستطع أن يتخلص بالتأكيد من ثقافة عصره، ولذا عدّل العلوي هذا التعبير، ونقل عن الرازي ما يفيد مع تعقيب الشفاء للمرض، التنبيه على عظم المنّة بالعافية بعد المرض من غير تراخ[41].

والواقع هذا مقام ثناء على الله تعالى بتعداد نعمه التي توجب عبادته تعالى، ثم تمهيدا للدعاء الضارع، ولذا أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه حسن أدب وإيماء إلى ما في التفريط في المأكل والمشرب من أسباب للمرض.

وأرى أن إسناد الشفاء إلى ربه بضمير الفصل بالفاء أملا في الشفاء الحسن المحبوب، وإسراعا بتعديد النعم، وثناء على الله باقتداره على الشفاء العاجل، فالفاء لم تفد تعقب الشفاء للمرض فحسب، بل أفادت مع أن المرض قصير، تتدارك رحمة الله بشفاء سريع لا يطول بعدمه المرض.

والواضح من آيات سورة الشعراء هذه، ارتباط التغاير في حروف العطف بالترتيب الزمني طولا وقصرا، واستخدام نماذج من حروف العطف بدقة متناهية، وحكمة بالغة، لا يدركها إلا أولي التفكر والتبصر والتأمل في الأسلوب القرآني.

---

(39) سورة الشعراء، من الآية: [79-83].

(40) المثل السائر، ابن الأثير (ج 2 ص 26)؛ والطراز، العلوي (ج 2 ص 42).

(41) التفسير الكبير، الرازي (ج 24 ص 145).

ولا يمكن في مثل هذه الآية أن يتبدل أو يتغيّر حرف العطف بآخر، فإذا حدث هذا أختل المعنى، وغمض الأسلوب، وتعقدت الفكرة، ومن ثم كان استعمال هذه الحروف العاطفة، والتي وردت في الآية الكريمة قمة في الإبداع الأسلوبي، أو الأسلوب الإبداعي في القرآن الكريم وهذا الترتيب التزمه القرآن الكريم في كثير من سوره وآياته.

ونقف قليلا عند ضمير التأكيد في الآية الكريمة، وما ذهب إليه الشيخ محمد متولي الشعراوي في هذا الشأن، فالله سبحانه وتعالى يخاطب دائما ملكات النفس البشرية، ويرد عليها ببلاغة وبدقة متناهيتين، بحيث تجد أنه عندما تتغير كلمة واحدة من الكلمات، فإن ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعطي معنى جديدا، أو يفهم شيئا جديدا، وهذه الدقة الهائلة، تجدها موجودة بكثرة في القرآن الكريم، مثلاً إبراهيم عليه السلام يقول: ((**فإنهم عدو لي إلا ربّ العالمين الذي خلقني فهو يهدين**))[42].

هنا نتوقف لنسأل: لماذا لم يقل إبراهيم عليه السلام: (هو) الذي خلقني فهو يهدين، وقال: ((الذي خلقني فهو يهدين))؛ لأن الخلق ليس محتاجا إلى تأكيد، فليس هناك إنسان مهما كبر وعظم وحكم الدنيا كلها، يستطيع أن يدعي أنه يخلق إنسانا، وإلا فسنطلب منه أن يفعل ذلك، وسيعجز، إذن فالخلق لم يدَّعه أحد، ولذلك فإنه غير محتاج إلى تأكيد، إنما الهداية هناك مئات الألوف مما يدعون أنهم يهدون الناس، بعضهم وضع مناهج ضد الدين، والمهم أنهم جميعا يدعون أنهم يريدون هداية البشر، وكل إنسان يضع نظاما يخضع لأمره وهواه، ويدعي أنه للهداية.

ومن هنا كان لا بدّ من التأكيد على أن الهدي من الله وحده، إن الحق والطريق المستقيم من الله وحده، وهكذا نرى أن الضمير هنا كان لا بدّ من وضعه، وأن الضمير في الجزء الأول من الآية لم يكن هناك حاجة للتذكر به، فالخلق صفة من صفات الله، لا ينازعه فيها أحد، فهو ليس محتاجا إلى تأكيد، وإنما الهدى فيه ادعاءات من الناس وهناك تأتي كلمة (هو) ضرورة، ثم تأتي بعد ذلك في: ((والذي هو يطعمني ويسقين))؛ لأن الإنسان يكسب ثمن الطعام والشراب، فهناك ادعاءات كثيرة في الرزق.

ومن هنا فإن هذه الادعاءات محتاجة إلى أن يقول الله تعالى كلمة: ((هو يطعمني ويسقين))، ويقول أيضا: ((وإذا مرضت فهو يشفين))، ذلك إننا بين الطبيب والدواء ننسى إرادة الله سبحانه وتعالى. ثم بعد ذلك نأتي إلى عدم وجود كلمة هو في قوله تعالى: ((والذي يميتني ثم يحيين))، ولم يقل: والذي (هو) يميتني ثم (هو) يحيين؛ لأنه لا أحد يستطيع أن ينازع الله في مسألة الموت والحياة، ولا يدعيها لنفسه، ومن هنا كان التأكيد غير لازم لمقتضى

---

[42] سورة الشعراء، من الآية: [77].

الحال.

وهكذا نرى في هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى يأتي بالضمير فيضعه مرّة، ويحذفه مرّة؛ لأن المقام يقتضي ذلك، ولأن دقّة التعبير في القرآن الكريم تجعل الكلمة الواحدة توضع في المكان المناسب لتعبر عن المعنى الدقيق البالغ الدقة، سواء من ناحية الإضافة أو الحذف، أو اختيار الكلمات، ولو أن الله سبحانه وتعالى استخدم كلمة (هو) في كل الآيات التي ذكرناها، أو حذف كلمة (هو) من كل الآيات التي ذكرناها، لما تنبه لذلك معظم الناس لمعنى الحديث على أساس أنه كلام بشر، ولكنه كلام الله سبحانه[43].

ولا نريد أن نكثر، فالمقام يطول، وإنما أتينا بهذه النماذج على سبيل المثال لا الحصر، ومن يريد أن يستزيد من هذا الفيض الرباني، فكتاب الله شاخص أمامه، فحسبه به.

الخاتمة

نستطيع أن نخلص إلى النتائج التاليّة:

أولا: إن هذه الطريقة رائدة، ندعو أن يتمثلها دارسو القرآن، لما لها من أثر نفسي يغذي قوى النفس التي هي في حاجة لفهم دقائق كتاب الله عزّ وجلّ.

ثانيا: إن المعاني الخفية، أو المعاني الثانية التي تكمن خلف الأسلوب، أو الإشارات البلاغيّة لا يمكن أدراكها إلا عن طريق فهم أساليب اللغة العربيّة.

ثالثا: إن الطريقة التصويرية الرائعة، والجمال الذي يرتسم في حركة الصورة في القرآن الكريم حينما يمتلأها الخيال في إطار من الطبيعة الجاذبة، إنما يكون لغزه في فك هذا الإطار البلاغي ودلالاته وإشاراته.

---

[43] معجزة القرآن، الشعراوي (ص 50-51).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ط. حجازي – القاهرة – 1360هـ.
- الأصول الفنيّة للأدب، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1964م الطبعة الثانية.
- الإعجاز البياني للقرآن، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة – 1971م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي – القاهرة الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- التصوير الفني، سيد قطب، دار المعارف – مصر الطبعة الثانية.
- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة الرسالة – القاهرة.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة – بيروت – 1419هـ – 1998م الطبعة الثانية، تصحيح أصله الأستاذ الإمام محمد عبده والأستاذ الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي.
- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي عامر، المجلس الأعلى للشئون الإسلاميّة – القاهرة – 1975م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار إحياء الكتب العربية – مصر الطبعة الثانية.
- الكشاف، الزمخشري – القاهرة الطبعة الثانية.
- اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1960م الطبعة الأولى.
- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الأولى.
- وجوه الإعجاز في الخطاب الأسلوبي والمعرفي للقرآن الكريم، نصرالدين إبراهيم أحمد، مركز البحوث، الجامعة الإسلاميّة العالميّة – ماليزيا – 2005م الطبعة الثانية.



SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 1، العدد 3، تموز/ يوليو 2015م.

ANALTICS AND THE QURANIC VISION TO BE APPLIED TO THE MANAGEMENT, EVALUATION AND DEVELOPMENT OF ISLAMIC UNIVERSITY STUDIES

الأنالاتيكس والرؤية القرآنية لتطبيقه لإدارة الدراسات الإسلامية الجامعية وتقييمها وتطويرها

د. عصام التجاني محمد إبراهيم

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ماليزيا

1436هـ - 2015م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 18/2/2015
Received in revised form 20/3/2015
Accepted 1/4/2015
Available online 15/4/2015

Keywords:

الملخص

الأنالاتيكس هو علم يمكن الحاسوب من اتخاذ القرار المبني على حقائق مأخوذة من التحليل المنهجي للبيانات. وهو يعد من أحدث ما توصل إليه العلم الحديث وتكنولوجيا المعلومات، حيث يتمُّ من خلاله فحص البيانات، المهيكلة، وغير المهيكلة، المتوفرة في الشبكة الدولية (Internet)، والشبكات الخاصة (Intranet)، وتحليلها وفهمها بواسطة البرامج الحاسوبية الحديثة لفهم النصوص والصور والأصوات، وتحويلها تلقائياً إلى أرقام ومعلومات، وتنبؤات، واتخاذ قرارات بناءً عليها. هذا البحث يضع خارطة طريق لاستخدام الأنالاتيكس الأكاديمي في الجامعات والكليات الإسلامية ليكون مرجعاً للجودة الشاملة، والاعتماد الأكاديمي، وذلك من خلال تعريف هذه الأنواع، وشرح فوائدها، وبيان عيوبها ومخالفاتها الشرعية، وعرض بعض النماذج لتطبيقاتها، وبيان الرؤية القرآنية لتطبيق الصالح منها، مع مراعاة خصوصية الدراسات الإسلامية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد! فالجامعات والكليات الإسلامية في دول العالم الإسلامي منوط بها نشر حقيقة الدين الإسلامي القائم على الحنيفية السمحة وحفظ حقوق الانسان، ورعي حرماته وضروراته الخمس عدلاً وقسطاً، مسلماً كان أم غير مسلم، وترسيخ المفاهيم الإسلامية، من خلال إعداد طلاب أكفاء مؤهلين لأداء واجبهم للنهوض الشامل بالإنسانية في ضوء مبادئ الإسلام. ومن هذا المنطلق، فهي بحاجة إلى التطوير المستمر لمناهجها ومقرراتها الدراسية من خلال السبق لاستثمار الأدوات والوسائل المنهجية الحديثة والتكنولوجيا المتطورة، للارتقاء من المفضول إلى الفاضل فالأفضل في عالم التعليم. ومن أحدث ماتوصل إليه العلم الحديث وتكنلوجيا المعلومات هو ما يعرف باسم الأنالاتيكس (analytics)، وهو منهج متكامل يجمع بين البرامج الإحصائية (Statistical software) وما يطلق عليه في الغرب مصطلح (Big data) وهي البيانات الكبيرة والمعقدة المجموعة من المصادر التقليدية والرقمية داخل المؤسسة وخارجها والتي من الصعب معالجتها باستخدام الأدوات والبرامج التقليدية لإدارة قواعد البيانات. ومن المجالات التي بدأت الاستفادة من هذا المنهج حديثاً التعليم، وذلك من خلال تجارب بعض المؤسسات التعليمية الرائدة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، مثل جامعة بوردو وجامعة نوتنقهام. ويرى الكثير من متخصصي التعليم في العالم أن الأنالاتيكس عنصر لا غنى عنه، وسوف يُحدث ثورة في مجال التعليم في السنين القادمة. فهو يحتلُّ المرتبة الرابعة، بعد الهواتف الذكية، والحواسب اللوحية (Tablet computers)، والتعليم عن طريق الألعاب الإكترونية، من حيث التكنلوجيا الأكثر تأثيراً في التعليم في القرن الواحد والعشرين.

هذا البحث، من خلال منهج يجمع بين الوصف والتحليل، يمهّد لاستخدام الأنالاتيكس الأكاديمي التعليمي في الجامعات والكليات الإسلامية ليكون مرجعاً للجودة الشاملة، والاعتماد الأكاديمي، وذلك بتعريف الأنالاتيكس، وشرح فوائده، وبيان عيوبه، وعرض بعض الضوابط المستوحاة من القرآن لتطبيقه، مراعاةً للشريعة الإسلامية وخصوصية الدراسات الإسلامية. وسيكون على هذا النحو: مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة.

المطلب الأول: تعريف الأنالاتيكس ومجالاته

الأنالاتيكس هو منهج يجمع بين البرامج الإحصائية وقواعد البيانات الكبيرة والمعقدة التي من الصعب معالجتها باستخدام الأدوات والبرامج التقليدية لإدارة قواعد البيانات[1]. فهو علم يمكن الحاسوب من اتخاذ القرار المبني علي حقائق مأخوذة من التحليل المنهجي للبيانات. وهو يعد من أحدث ماتوصل إليه العلم الحديث وتكنلوجيا المعلومات. حيث يتمُّ من خلاله فحص البيانات، المهيكلة، وغير المهيكلة، المتوفرة في الشبكة الدولية (Internet)، والشبكات الخاصة (Intranet)، وتحليلها وفهمها بواسطة البرامج الحاسوبية الحديثة لفهم النصوص والصور والأصوات، وتحويلها تلقائياً إلى أرقام ومعلومات، وتنبؤات، واتخاذ قرارات بناءً عليها. ونجاح وتطور الأنالاتيكس يعتمد في المقام الأول على وفرة البيانات. ومن مميزاته أنه يستطيع فهم وتحليل البيانات بأقسامها الثلاثة: المهيكلة، وغير المهيكلة، والمتعددة الهيكلة[2].

البيانات المهيكلة:

البيانات المهيكلة (Structured data) هي البيانات التي تجمعها الشركات والمؤسسات في ملفات وفق نظام وترتيب معينين، مثل عناوين الطلاب، أو أسماء وأرقام هواتف الموظفين، أو تواريخ الميلاد، أو درجات الطلاب في الفصل الدراسي، وما إلى ذلك. وهذا النوع من البيانات له ميزة سهولة التخزين الإلكتروني في قواعد البيانات، والبحث والتحليل.

البيانات غير المهيكلة:

البيانات غير المهيكلة (Unstructured data) هي البيانات المتواجدة بشكل غير مرتب في مواقع الشبكة العنكبوتية، مثل موقع ملتقى أهل التفسير، أو أهل الحديث، والمنتديات المختلفة، ووسائل ومواقع الإعلام الإجتماعية، مثل تغريدات تويتر، ومداخلات الفيس بوك، والرسائل البريدية الإلكترونية. وهذا النوع من البيانات كان في السابق قبل ظهور الأنالاتيكس يصعب تخزينه في قواعد البيانات الإلكترونية، والبحث فيها وتحليلها.

---

(1) Academic analytics. Educause 2007, Campbell, J. and Oblinger, D. -2007. http://net.educause.edu/ir/library/pdf/PUB6101.pdf

(2) The 2011 Horizon Report, Johnson, L., Smith, R., Willis, H., Levine, A., and Haywood, K. - 2011.

البيانات متعددة الهيكلة:

النوع الثالث من البيانات التي يحللها الأنالاتيكس هي (Multi-structured data) البيانات متعددة الهيكلة، وهي البيانات الناتجة عن تفاعل الإنسان مع الآلات والأجهزة الإلكترونية، فتشمل الصور المتحركة التي تسجلها كاميرات المراقبة في المكتبات، ومقاطع الفيديو التي يرفعها الطلاب في المواقع الإجتماعية، وملفات سجلات المواقع الإلكترونية (web log-files)، وهذا النوع من البيانات يتكون من مزيج من النصوص، والأصوات، والصور الثابتة، والمتحركة، والملفات الضوئية المصورة (pdf). وتمثل البيانات متعددة الهيكلة من 70% إلى 80% من مجموع البيانات المتوفرة في الإنترنت حاليا.

تستخدم الدول الكبرى، وخاصة أمريكا، الأنالاتيكس في وضع سياساتها الداخلية والخارجية وتقييمها عبر الاستفادة من ثروة البيانات التي تجمعها بشكل يومي من مواقع التواصل الاجتماعي، والأقمار الصناعية، وأجهزة المراقبة والتنصّت التي من الصعب معالجتها باستخدام الأدوات والبرامج التقليدية لإدارة قواعد البيانات. وتمّ كذلك استخدم الأنالاتيكس في العقدين الماضيين في مجال إدارة الأعمال، ثم تطور تدريجياً مع توفر التكنلوجيا؛ ليشمل مجالات التسويق، والصحة، والرياضة. ومن المجالات التي بدأت الاستفادة من هذا المنهج حديثاً التعليم، وذلك من خلال تجارب بعض المؤسسات التعليمية الرائدة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، مثل جامعة بوردو وجامعة نوتنقهام.[3]

المطلب الثاني: الأنالاتيكس الأكاديمي التعليمي وخطواته

الأنالاتيكس الأكاديمي التعليمي مجاله الجامعات وإداراتها المختلفة، والطلاب وسلوكياتهم التعليمية، فهو أداة لقياس، وجمع، وتحليل البيانات عن العملية التعليمية للطلاب، والبيئة التي تحدث فيها، وسياقاتها، لغرض فهمها وتحسينها. فيمكن أن ينظر إليه باعتباره محركاً لمراقبة وتحسين العملية التعليمية آليا، وذلك من خلال أربع خطوات: جمع البيانات، وإصدار التقارير، والاستشراف، واتخاذ الإجراءات التصحيحية المناسبة.

الخطوة الأولى جمع البيانات:

البيانات هي أساس الأنالاتيكس، وجمعها يعتبر الخطوة الأولى في سبيل الاستفادة منها. فيمنح نظام الأنالاتيكس إمكانية الوصول إلى أكبر قدر ممكن من بيانات الطلاب في أنظمة الجامعة المختلفة، الأكاديمية منها

---

(3) Application of computerized adaptive testing to educational problems, Weiss, D.J., and Kingsbury, G.G. Journal of Educational Measurement, 21, - 1984 (pp 361-375).

والإدارية، وبأشكالها وأنواعها المختلفة، كجداول البيانات، والنصوص، والصور، فالجامعات تجمع مجموعة واسعة من البيانات عن الطلاب. الجدول رقم 1 أدناه يقدم عينة من أنواع البيانات التقليدية التي تجمعها الكثير من الجامعات عن الطلاب والمواد[4].

جدول رقم 1

أنواع البيانات التي تجمعها الجامعات عن الطلاب والمواد[5]

نوع البيانات	التفاصيل	تكرار تحديث البيانات خلال الفصل الدراسي
الديموغرافيا	العمر	مرة واحدة
	العرق	مرة واحدة
	طالب جامعي من الجيل الأول	مرة واحدة
القدرة الأكاديمية	تصنيف المدرسة الثانوية	مرة واحدة
	المعدل التراكمي للطالب في المدرسة الثانوية	مرة واحدة
	المواد التي درسها في المدرسة الثانوية (الرياضيات، والعلوم،...)	مرة واحدة
	نتائج اختبار تحديد المستوى	مرة واحدة
	نتائج الاختبارات الموحدة	مرة واحدة
الأداء الأكاديمي	المعدل التراكمي في الجامعة	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	عدد الساعات والمواد التي انسحب منها الطلاب	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	درجات امتحان منتصف الفصل	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	درجات أعمال الفصل	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	درجات الامتحان النهائي	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد

(4) Generating Context-related Feedback for Teachers, Jovanović, J., International Journal of Technology Enhanced Learning (IJTEL), Vol. 1, No.1/2 - 2008 (pp 47 - 69).

(5) Academic analytics. Educause, Campbell, J. (p 4).

التاريخ الأكاديمي	التخصص الأول	مرة واحدة
	عدد الساعة المعتمدة التي أكملها	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	التخصص الحالي	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	المقررات الدراسية السابقة	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
المقدرة المالية	حجم المساعدات المالية	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	يعمل ويدرس	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
معلومات المشاركة والتفعاعل	المساعدات الفنية	يتفاوت من مكان لآخر
	الأنشطة التوجيهية	يتفاوت من مكان لآخر
	الجمعيات الطلابية	يتفاوت من مكان لآخر
	التعليم الإضافي	يتفاوت من مكان لآخر
الجهد الأكاديمي	استخدام البرامج التعليمية الإلكترونية	يتفاوت من مكان لآخر
	ساعات استخدام مختبر الحاسوب	يتفاوت من مكان لآخر
	ساعات استخدام المكتبة	يتفاوت من مكان لآخر
	عدد الكتب المستعارة من المكتبة	يتفاوت من مكان لآخر
	المواظبة أو الحضور للفصل	يتفاوت من مكان لآخر
معلومات المؤسسة التعليمية	العدد الكلي للطلاب	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	عدد المواد المطروحة	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	عدد الطلاب في كل مادة	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	عدد الساعات والمواد التي انسحب منها الطلاب	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	معدلات درجات امتحان منتصف الفصل	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	معدلات درجات أعمال الفصل	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد
	معدلات درجات الامتحان النهائي	مرة واحدة في الفصل الدراسي الواحد

جمع وتنظيم هذه البيانات قد يكون تحديا كبيرا ولكنه ضروري، لأن القرارات التحسينية لعملية التعليم تتوقف

على وفرة، وجودة، وسلامة تلك البيانات. لذلك بعض المؤسسات لا تكتفي بتلك البيانات التقليدية، وإنما أيضا ترصد مشاركات الطالب في مواقع الإنترنت، والمنتديات المختلفة، ومواقع التواصل الإجتماعي، مثل تويتر، والفيس بوك، وبعضها يصل حد مراقبة الرسائل البريدية الإلكترونية في بريد الجامعة. وطبعا في مثل هذه الممارسة لا تؤخذ موافقة الطالب، بل وفي كثير من الأحيان لا يكون له علماً بها، مما يجعلها مصدر قلق أخلاقي للكثيرين.

إضافة إلى ذلك، فإن وتيرة تحديثات تلك البيانات يؤثر على طبيعة الأسئلة التي يمكن الإجابة عليها بواسطة الأنالاتيكس التعليمي. فعلى سبيل المثال إذا تم قياس الأداء الأكاديمي للطالب فقط من خلال الامتحان النهائي للمادة، كما هو الحال في بعض مواد الدراسات العليا، فإنه لا يمكن التدخل أثناء الفصل الدراسي للتأثير الفعال في تحسين درجة الطالب في تلك المادة.

الخطوة الثانية إصدار التقارير.

البيانات التي تم جمعها من الأنظمة المختلفة داخل وخارج الجامعة يتم ترحيلها إلى مستودع للبيانات (data-warehouse)، مما يجعلها متاحة للتحليل من خلال طريقة النمذجة (modeling or data mining). والهدف من تخزين البيانات في مستودع مستقل هو التمكن من معالجتها وتحليلها دون تعطيل أو إبطاء عمل الأنظمة في أثناء ساعات العمل الرسمية، فبعض المؤسسات ترحِّل تلك البيانات ليلاً.

وبمجرد استخراج البيانات وتخزينها في موقع مشترك، الخطوة التالية هي معالجتها بواسطة برنامج مخصص يدمج بين البرامج الإحصائية الحديثة، مثل برنماج (SPSS) وما يسمى بـ البرامج الذكية (business intelligence software)، ومن ثم إكتشاف أنماط معينة من تلك البيانات، وإصدار تقارير بذلك، ليس في هيئة تقارير تقليدية مثل التي تكون عادة في شكل جداول بيانات، ولكن في لوحات ذكية تقارن بين الأهداف الموضوعة والنتائج الحالية. الجدول التالي يقدم عينة من أنواع البرامج التي تستخدم في الأنالاتيكس التعليمي[6].

---

(6) Monitoring student creative capacity: Using network visualisation to evaluate pedagogical practice, Dawson, S., McWilliam, E., and Poole, G., In proceedings for, Creating value between commerce and commons, Centre for Excellence for Creative Industries and Innovation, Brisbane - Australia - 2008.

جدول رقم 2

أنواع البرامج التي تستخدم في الأنالاتيكس التعليمي[7]

	اسم البرنامج	الشركة المنتجة	سنة إصدار النسخة الأولى منه	السوق المستهدفة
1	AcaStat	AcaStat Software	1999	الباحثين والأكاديميين والطلاب والمحللين
2	Analytic Solver Platform	Frontline Systems Inc.	2013	للتحليلات شاملة؛ وطلاب ماجستير إدارة الأعمال
3	Autobox 6.0	Automatic Forecasting Systems, Inc.	1976	الاستشراف المستقبلي، ونظم الإنذار المبكر
4	SPSS	IBM	1968	يستخدمه آلاف المؤسسات التجارية والحكومية والمؤسسات الأكاديمية في حل مجموعة من المشاكل التجارية والبحوث
5	iData	MJC2	1989	معظم قطاعات الصناعة
6	JMP 10	SAS Institute	1972	علماء الطبيعة، وعلماء الاجتماع، والمهندسين (وخاصة في مجال الجودة والاعتماد الهندسي) ومحللين السوق وغيرهم من المستكشفين
7	Minitab 16 Statistical Software	Minitab Inc	1993	خبراء الجودة، وزارات الطاقة، والمهندسين
8	Optimal Scientist Software Package	Transpower Corpoation	1988	مجال الصناعة، والأوساط الأكاديمية
9	Oracle Crystal Ball Suite	Oracle America Inc.	1964	محللي المخاطر، والمتخصصين في التسلسل الزمني، والطلاب
10	P-STATÂ (R)	P-STAT, Inc		التصنيع، والدواء، والتعليم، وأبحاث السوق، وتحليل المسح وأبحاث العلامات التجارية
11	QMS - Quantitative Methods Software	QuantMethods	1990	المجال التعليمي

(7) http://www.orms-today.org/surveys/sa/sa1.html.

12	SAS	SAS	1976	الصناعات
13	Smoothie	Demand Works	2003	المصنعين والموزعين في الشركات المتوسطة والكبيرة
14	Stat::Fit	Geer Mountain Software Corporation	1995	النمذجة، وتقييم المخاطر، والجودة الهندسية والإدارة المالية
15	Unistat Statistical Package for Windows	Unistat Ltd		أداة إحصاءات عامة
16	Vanguard Business Analytics Suite	Vanguard Software	1995	جميع التخصصات
17	XLMiner	Frontline Systems Inc.	2003	المستخدمين لبرنامج الإكسيل في مجال الصناعة، وطلاب ماجستير إدارة الأعمال الذين يتعلمون بناء تطبيقات التنقيب في البيانات الأولية

أنواع التقارير التي يصدرها الأنالاتيكس تعتمد على البيانات التي في مقدوره الوصول إليها، فمنها تقارير يومية أو دورية عن الأداء الأكاديمي للطلاب في أثناء الفصل الدراسي، مثل درجاتهم في الاختبارات في مختلف المواد، وامتحان منتصف الفصل، ودرجات أعمال الفصل الأخرى. وكذلك تقارير عن معلومات المشاركة والتفعاعل للطلاب، وجهدهم الأكاديمي، مثل المواظبة وحضور المحاضرات، ساعات استخدام المكتبة ومعمل الحاسوب. أهمية هذه التقارير تكمن في أنها الأساس في معرفة النتيجة المتوقعة لكل طالب في كل المواد، ومسبباتها، والتدخل المناسب لمعالجتها قبل فوات الأوان.

الخطوة الثالثة الاستشراف والتنبؤ بمخرجات العملية التعليمية

المرحلة الثالثة من مراحل عمل للأنالاتيكس التعليمي هي الاستشراف. بناءا على العديد من الخوارزميات الإحصائية المعقدة (complex statistical algorithms)، مثل الانحدار اللوجستي (logistic regression)، وأشجار القرار (decision trees)، والشبكات العصبية (neural networks) تبرمج النماذج الاستشرافية التنبؤية من البيانات المتوفرة عن الطلاب والمواد. وبموجب نتائج تقارير الاستشراف يتم الانتقال من مرحلة توفر المعلومة إلى

مرحلة التدخل الفوري بشقيه الآلي والبشري لتحسين مستوى الطالب[8].

يستطيع للأنالاتيكس من خلال رصده لحرص الطلاب على حضور المحاضرات، وأدائهم الأكاديمي في الاختبارات وأعمال الفصل، وجهدهم الأكاديمي، وموقفهم المادي، يستطيع أن يتنبأ بعدة أشياء عن الطلاب، وعن الأساتذة، وعن المنهج الدراسي ككل في أثناء الفصل الدراسي. فيحدد الطلاب الذين يواجهون صعوبات، وبناءاً على تجاربهم السابقة، ومقارنتهم بأقرانهم، كذلك يحدد الإجراء المتوقع من الطالب، إما أنه سوف ينسحب من المادة، أو يرسب في المادة، أو ينسحب من الجامعة ككل.

الخطوة الرابعة اتخاذ الإجراءات التصحيحية المناسبة

الهدف الأساس من مشروع الأنالاتيكس التعليمي هو تمكين المؤسسات التعليمية من أن تتخذ الإجراءات المناسبة في الوقت المناسب، وبناءاً على توقعات واحتمالات مستنبطة من بيانات حقيقية[9]. هذه الإجراءات قد تتراوح من مجرد توفير "المعلومات" إلى "التدخل المباشر". فعلى سبيل المثال، بعض تطبيقات الأنالاتيكس توفر لكل طالب عرض مستمر لمعلومات عن تقدمه في كل المواد مقارنة مع أقرانه. وفي حالة تنبؤ تحليل بيانات الطالب بأنه سيواجه صعوبات في إحدى المواد، يبين للطالب أوجه القصور التي أدت إلى ذلك، ويقترح عليه الحلول المناسبة لتحسين موقفه الأكاديمي في المادة للخروج بالدرجة التي تناسب مستواه. فقد يكون السبب عدم حضوره محاضرة معينة، أو عدم استعارة كتاب استعاره معظم أقرانه، أو الساعات الطويلة التي يقضيها الطالب في الحاسوب لأغراض غير أكاديمية، وما إلى ذلك من التحليلات المبنية على البيانات المتوفرة عن الطالب وأقرانه. وقد يكون إخبار الطالب بواسطة مكالمة هاتفية شخصية يقوم بها البرنامج، أو بريد إلكتروني، أو عن طريق إعلام أستاذ المادة.

---

(8) Signals: Applying Academic Analytics, Kimberly, E. A., Educause Quarterly, Volume 33 – 2010.

(9) Structural Holes and Good Ideas, Burt, R. S, American Journal of Sociology, UChicago Press,110(2), - 2004 (pp 349-399).

المطلب الثالث: مزايا الأنالاتيكس التعليمي

لا شك أن للأنالاتيكس التعليمي مزايا جمة وأثر إيجابي على الطالب، والمعلم، وإدارة الجامعة.

فوائده للطالب

فعلى أساس الأداء الأكاديمي السابق، يستطيع الأنالاتيكس التكييف وتقديم تحسينات لعملية التعلم بصفة شخصية لكل طالب على حدا. وعن طريق جمع ودمج وتحليل البيانات من المصادر مختلفة – والمواقع الاجتماعية، ونظم المعلومات داخل الجامعة، وخارجها، يوفر الأنالاتيكس نظرة شمولية لتجربة الطالب التعليمية، ويصنع حلول فردية مخصصة لكل طالب. وبذلك يلبي حاجة أساسية كان من الصعب توفرها، ألا وهي خلق بيئة تعليمية تفاعلية قابلة للتكيف والتنقيح المستمر، مما يتيح للطالب فرصة لاستثمار كامل طاقاته وإمكاناته لتحقيق أهدافه التعليمية. ومن فوائده للطالب كذلك:

1- **توفير معلومات أفضل** عن مستقبلهم التعليمي. فبعض الطلاب قد يرحبون بالمعلومات التنبؤية عن مستقبلهم في المادة، وتقدمهم الدراسي ككل، لأنها سوف تساعدهم على تحسين أدائهم.

2- **التنبؤات الاستشرافية** التي توفر التشجيع اللازم للطلاب لبذل المزيد من الجهد في سبيل النجاح.

3- **التعريف بالموارد المتاحة في الجامعة.** للأنالاتيكس التعليمي القدرة على تسليط الضوء على الموارد الموجودة في الجامعة والتي قد يكون ليس للطالب علما بها، مثل دورات المهارات الدراسية.

فوائده للمعلم

بالنسبة للمعلم، فالحاسوب، من خلال المعلومات التي يجمعها عن الطالب من المصادر والأنظمة المختلفة للجامعة، يمكّن المعلم من التتبع الفوري للأداء الأكاديمي للطالب، ومقارنته مع أقرانه، وإيجاد وتطوير أساليب التدريس الفعالة له، وتحديد المنهج الذي يناسب كل طالب[10]. أي بالأحرى، يمكّن المعلم من ادارة نجاح الطالب. فالأنالاتيكس التعليمي يساعد المعلم في تحديد المنهج الذي يناسب كل طالب حسب المعلومات المتوفرة عنه، كما يمكن الاستفادة منه في ترشيد الجهود التي يبذلها المعلم في تطوير المناهج الدراسية. وكذلك البيانات التي يوفرها الأنالاتيكس عن الطلاب قد تكون بمثابة دليل توجيهي للمعلمين لضبط استراتيجيات تدريسهم، وتمكينهم من التدخلات المبكرة عند الحاجة. ومن فوائده للمعلم كذلك:

---

(10) Framing Action Analytics and Putting Them to Work, Norris, D., Baer. L., Leonard, J., Pugliese, L. and Lefrere P., EDUCAUSE Review, Volume 43, Number 1 - 2008.

1- **نجاح الطالب**. معظم أعضاء هيئة التدريس يريدون نجاح الطلاب. فالعديد منهم يرحب بالمعلومات التي تتنبأ بأداء الطلاب حتى يتمكنوا من تركيز جهودهم. فإذا أثبت مشروع الأنالاتيكس نجاحة في تحسين مستوى الطلاب فلا شك أن العديد من أعضاء هيئة التدريس سيرحبون به.

2- **التدريس الفعال**. بمقدور الأنالاتيكس التعليمي توفير رؤى جديدة في أساليب التدريس التي هي أكثر فعالية من غيرها. تلك المعلومات تتيح لأعضاء هيئة التدريس التكيّف مع الأساليب التدريسية التي توائم احتياجات الطلاب.

3- **إثراء البحوث**. الأنالاتيكس التعليمي وتحليلاته قد تحفز على مزيد من الدراسات التي تسعى للربط بين الممارسات التعليمية الفعالة وتعلم الطالب أو نجاح الطالب، ومثل هذه الدراسات تثري أبحاث التعليم والتعلم.

فوائده لإدارة الجامعة

يمكن من خلال الانالاتيكس تحسين الإدارة، فهو يمكن إدارة الجامعة، وعمداء الكليات، ورؤساء الأقسام، من اتخاذ القرارات الإدارية المبنية على حقائق، وإدارة الميزانيات عبر فترات زمنية أطول، وجلب العدد المستهدف من الطلاب، وتحديد الطلاب الذين يواجهون صعوبات، وتوقع الطلاب الذين من المرجح أن يتركوا الجامعة، وتحسين معدل التخرّج[11]. وكذلك التقييم اليومي لأداء الجامعة، وكلياتها، وأقسامها، ومقارنته بالخطط والأهداف الموضوعة مسبقاً. إضافةً إلى الاختبار والتقييم المستمر والفوري للمناهج والمقررات الدراسية، وتحليل أساليب التقييم، وقياس مخرجات التعلم. ومن فوائده لإدارة الجامعة كذلك:

1- **ترسيخ مبدأ المساءلة**. يمكن من خلال مشروع الأنالاتيكس التعليمي ترسيخ مبدأ المسائلة المبنية على بيانات لا يمكن إنكارها أو التشكيك فيها.

2- **الاستخدام الفعال للموارد**. زيادة معدلات النجاح الأكاديمي يؤدي إلى انخفاض عدد الطلاب الذين يسجلون المادة الواحدة أكثر من فصل تعليمي واحد بسبب الفشل فيها. وذلك بدوره يؤدي إلى توفير مقاعد إضافية في المواد التي عليها طلب كبير، مثل المواد المتطلبة لأكثر من تخصص.

3- **تحسين السمعة**. الطبيعة التفاعلية الاستباقية للأنالاتيكس التعليمي تثبت للطلاب، وأولياء الأمور، والمشرفين التربويين اهتمام الجامعة بنجاح الطلاب. لا شك أن مثل هذا الاهتمام يؤدى إلى تحسين سمعة الجامعة في كافة

[11] The rise of the creative class, Florida, R., Basic Books - New York - 2002 (p 13).

والدوائر.

المطلب الرابع: التحديات التي تواجه الأنالاتيكس التعليمي

وعلى الرغم من المزايا العديدة للأنالاتيكس التعليمي، إلّا أنه يواجه العديد من التحديات. فالبيانات هي أساس الأنالاتيكس، وجمعها يعتبر الخطوة الأولى في سبيل الاستفادة منه، إلا أن هنالك بواعث قلق وتساؤلات متعلقة بالطريقة التي تجمع بها البيانات، ومخرجات المشروع ككل، منها الآتي:

مخاوف الطالب من مشروع الأنالاتيكس التعليمي:

1- **الخصوصية.** ما هي الجهات والأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع على بيانات الطالب؟ وتوقعات نجاحه أو فشله؟ فإن بعض الطلاب قد لا يريدون لمثل هذه المعلومات أن تصل لأعضاء هيئة التدريس، أو المشرفين، أو أولياء الأمور.

2- **الدقة.** على الرغم من أن بعض الطلاب قد يرحبون بتنبؤ نجاحهم، ومعرفة الخطوات التي تقودهم لتحسين درجاتهم، إلا أن البعض الآخر قد يتخوف من أنه سوف يحكم عليه بشكل غير صحيح.

مخاوف المعلم من مشروع الأنالاتيكس التعليمي:

1- **تقييم فعالية المعلم.** في حين أن العديد من أعضاء هيئة التدريس يهمهم نجاح الطالب، إلا أنه قد يكون هنالك تخوف من أن البيانات التي تجمع قد يتم استخدامها لتقييم المعلم نفسه وأسلوبه في التدريس. فالأسلوب الفعال في التدريس قد لا يؤدي دائما إلى نجاح الطالب.

2- **زيادة الأعباء.** أعضاء هيئة التدريس قد يشوبهم القلق من أن تطبيق مشروع الأنالاتيكس التعليمي سيضع أعباء إضافية على وقتهم ومواردهم.

3- **تداخل المسؤوليات.** أين تنتهي مسؤولية عضو هيئة التدريس وتبدأ مسؤولية الطالب؟ بعض أعضاء هيئة التدريس قد يشعر أن رصد تقدم الطالب ليس من مسؤولياته، فالطالب مسؤول في النهاية عن تعليمه، وينبغي عليه رصد تقدمه بنفسه، وينتهي دور المعلم بتوصيل المادة العلمية. ويعتقد آخرون أن المسؤولية مشتركة.

مخاوف إدارة الجامعة من مشروع الأنالاتيكس التعليمي:

1- **إدارة البيانات.** من هم الأشخاص الذين يمكنهم الوصول إلى بيانات الطلاب والمعلمين أثناء تطوير وتنفيذ

الشروع؟ وما هي السياسات التي تحكم كيفية كشف النتائج للطلاب؟ وما تأثير التنبؤ بالنتيجة المتوقعة على ثقة الطالب؟

2- **الالتزام**. إذا توقع تقرير الأنالاتيكس التعليمي احتمال نجاح أو رسوب الطالب، فمن الذي يجب عليه التدخل أو التصرف؟ وكيف يتم تقسيم المسؤولية بين الجهات الثلاث: أعضاء هيئة التدريس، والطلاب، والإدارة؟

3- **توزيع الموارد**. مع نماذج التنبؤ التي يوفرها الأنالاتيكس التعليمي، فتوزيع الموارد ل لذين في أشد الحاجة للمساعدة قد يثير العديد من الإشكالات والتساؤلات عن مقدار الموارد التي يجب أن تستثمرها الجامعة في الطلاب الذين تنبأ الأنالاتيكس لهم بالفشل، وهل تخصص الموارد للذين في حاجة للمساعدة أم لكل من يرغب من الطلاب؟ ولمن تكون الأولوية إذا كانت الموارد محدودة؟

لاشك أن التساؤلات السابقة تشكل تحدٍ لتطبيق الأنالاتيكس التعليمي في العديد من الجامعات، ويمكن التغلب عليها بوضع السياسات المناسبة. أما إذا ما وضعنا في الاعتبار الشريعة الإسلامية، وخصوصية الدراسات الإسلامية، فلابد من ضوابط وشروط واضحة يتم الاتفاق عليها قبل الشروع في مثل هكذا مشروع، نذكر أهما في الفقرة القادمة مستوحاة من القرآن الكريم.

المطلب الخامس: ضوابط قرآنية لتطبيق الأنالاتيكس التعليمي في الجامعات الإسلامية

يرى الكثير من متخصصي التعليم في العالم أن الأنالاتيكس عنصر لا غنى عنه، وسوف يُحدث ثورة في مجال التعليم في السنين القادمة. فهو يحتلُّ المرتبة الرابعة، بعد الهواتف الذكية، والحواسب اللوحية (Tablet computers)، والتعليم عن طريق الألعاب الإكترونية، من حيث التكنلوجيا الأكثر تأثيراً في التعليم في القرن الحادي والعشرين. وبما أن الجامعات والكليات الإسلامية في دول العالم الإسلامي منوط بها إعداد طلاب أكفاء مؤهلين لأداء واجبهم؛ للنهوض الشامل بالإنسانية في ضوء مبادئ الإسلام، فهي إذاً بحاجة إلى التطوير المستمر لمناهجها ومقرراتها الدراسية من خلال السبق لاستثمار الأدوات والوسائل المنهجية الحديثة والتكنلوجيا المتطورة، للارتقاء في عالم التعليم.

ولا يمنع كون هذه التكنلوجيا أتت من غير المسلمين من أن يستفاد منها في الجامعات الإسلامية، فالعلم كله أصله من الله سبحانه وتعالى الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، كما أشار إلى ذلك العديد من المفسرين. فنجد عبد الرحمن السعدي رحمه الله يشير إلى ذلك في تفسيره لقوله تعالى: ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ**

الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))،[12] فيقول: "فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم. فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطابهم، فلله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرون لها على جزاءٍ ولا شكور".[13] ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات "وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة"[14].

وذكر ابن كثير لآدم عليه السلام فيه إشارة لقوله سبحانه وتعالى: ((**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)).[15] وصرح بذلك القرطبي، فقال: "قيل: «الإنسان» هنا آدم عليه السلام. علمه أسماء كل شيء؛ حسب ما جاء به القرآن في قوله تعالى: ((وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا...)). فلم يبق شيء إلا وعلَّم سبحانه آدمَ اسمَه بكل لغة، وذكره آدم للملائكة كما عُلِّمه. وبذلك ظهر فضله، وتبيّن قدره، وثبتت نبوّته، وقامت حجة الله على الملائكة، وامتثلت الملائكة الأمر لِمَا رأت من شرف الحال، ورأت من جلال القدرة، وسمعت من عظيم الأمر. ثم توارثت ذلك ذريته خلفاً بعد سلف، وتناقلوه قوماً عن قوم"[16]. بل وأضاف القرطبي رحمه الله أنه قد يكون المقصود بالإنسان في الآية محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: " وقيل: «الإنسان» هنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ دليله قوله تعالى: ((**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ**)). [17] وعلى هذا فالمراد بـ«علَّمك» المستقبل"[18]. وفي ذلك أدلة واضحة إلى أن العلم كله مصدره الله سبحانه وتعالى، وأخذ النافع منه من غير المسلم لا غضاضة فيه.

---

[12] سورة العلق، من الآية [1-5].

[13] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض – 1422هـ الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (ص 1097 – 1098).

[14] انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض – 1420هـ الطبعة الثانية، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ج 8 ص 438).

[15] سورة البقرة، من الآية [31].

[16] الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض – 1423هـ الطبعة الأولى، تحقيق هشام سمير البخاري (ج 20 ص 122).

[17] سورة النساء، من الآية [113].

[18] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 20 ص 122).

وكذلك أشار السعدي رحمه الله إلى فضل آدم بالعلم فقال: "وفيه فضيلة العلم من وجوه: منها:...، ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم، وأنه أفضل صفة تكون في العبد".(19) وفوق ذلك كله، فالنبي صلى الله عليه وسلم شرع التعلم لما هو مفيد من الكفار، فقد ثبت عنه أنه صلى الله عليه وسلم فادى بعض أسارى المشركين الذين أسروا في غزوة بدر ممن لم يجد من المال ما يفدي به نفسه بتعليم جماعة من أبناء الصحابة الكتابة. إلا أن مثل هذا الجواز مقيد بما إذا لم يكن في تعلم المسلم من الكافر ما يمكن أن يفتنه في دينه. وعليه، فإن جلب مثل هذه البرامج المفيدة لا مانع منه إذا استطعنا توظيفها بما يوافق الشريعة الإسلامية. فإليك جملة من الضوابط في سبيل التمهيد لاستخدام الأنالاتيكس التعليمي لإدارة الدراسات الإسلامية:

أولاً: ضوابط لحفظ خصوصية الطالب:

1- التزام الشفافية والوضوح في أنواع ومصادر البيانات التي تجمع.

2- إعلام الطالب أنه مراقب وتجمع عنه بيانات.

3- إعلام الطالب بأنواع البيانات التي تجمع.

4- إعلام الطالب بالمصادر التي تجمع منها المعلومات.

5- إعلام الطالب بسبب أو الهدف من جمع البيانات.

6- أخذ موافقة رسمية من الطالب كتابةً قبل جمع البيانات وتحليلها.

7- لدى الطالب الخيار في عدم الاشتراك في المشروع.

8- لدى الطالب خيار "الانسحاب" من المشروع.

ثانياً: ضوابط لإنصاف الطالب:

1- التسليم بأن موثوقية النتائج تعتمد على نوع، وجودة، ووفرة البيانات التي تجمع، والمنهج الإحصائي المتبع في التحليل.

2- التسليم بأن تنبؤآت البرنامج عبارة عن توقعات قد تخطئ.

3- أن لا يكون هنالك تبعات سلبية على الطالب نتيجة التنبؤ بنتيجته.

4- أن لا يظلم أحد في استخدام موارد الجامعة نتيجة لتنبؤآت الأنالاتيكس.

---

(19) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص 39).

ثالثاً: ضوابط لحفظ خصوصية المؤسسة التعليمية:

1- أن يكون هنالك سياسات واضحة لحفظ البيانات.

2- أن يكون هنالك سياسات واضحة لحماية البيانات من السرقة والتطفل.

3- أن يكون هنالك سياسات واضحة للكيفية التي تتم بها توصيل البيانات للجهات المسموح لها الاطلاع عليها.

4- أن تستخدم البيانات لمصالح تعليمية مشروعة.

5- تكوين هيئة عليا للإشراف على مشروعات الأنالاتيكس التعليمي للقيام بدور وضع اللوائح والرقابة.

تلك الضوابط مستوحاة من هدي القرآن، وسنة المصطفى خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام. يقول الله تعالى في قصّه لما دار من اتفاق بين سيدنا موسى وسيدنا شعيب عليهما السلام: ((**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**)).[20] نستوحي من تلك الآيات أن الاتفاق بين سيدنا موسى وشعيب كان واضحا بينا. قال سيد قطب –رحمه الله– عند تفسيره للآية الكريمة: "إن مواضع العقد وشروط التعاقد لا مجال للغموض فيها، ولا اللعثمة، ولا الحياء"[21]. وكذلك نجد أن شعيبا طلب من موسى موافقته دون إجباره على الأمر، وقد تلقى موسى ذلك العرض بالقبول، بإفادته لشعيب عليه السلام أن ذلك الذي قلته لي واشترطته علي، كائن وحاصل بيني وبينك، وكلانا مطالب بالوفاء به[22]، أي: هذا الشرط، الذي أنت ذكرت، رضيت به، وقد تم فيما بيني وبينك[23].

وفي قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**...))،[24] إرشاد منه تعالى لعباده بكتابة المعلومات المؤجلة ليكون ذلك أحفظ وأوثق لمقدارها وميقاتها[25].

وفي قوله تعالى: ((**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**))[26] بيان لمهنج الله سبحانه وتعلى

---

[20] سورة القصص، من الآية [27-29].

[21] في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت – 1405هـ – 1975م الطبعة الحادية عشرة (ج 5 ص 2689).

[22] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي، دار السعادة (ج 10 ص 398).

[23] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ص 614).

[24] سورة البقرة، من الآية [282].

[25] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر – بيروت – 1421هـ – 2001م (ج 1 ص 161).

[26] سورة الإنفطار، من الآية [10-15].

في تعامله مع البشر؛ حيث أعلمهم بأنهم مراقبون في جميع أعمالهم من قبل الملائكة الكرام، وأن كل ما يفعله الإنسان مسجل. أي أن من حق المراقَب إعلامه بأنه يراقَب، وأوقات تلك المراقبة، ونوعها، وأهدافها، وكافة تفاصيلها.

وفي إخباره تعالى عن حال الجن، في السورة التي سميت باسمهم، حين بعث محمد ﷺ وأنزل عليه القرآن، وكيف أن السماء ملئت حرسا شديدا، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك؛ لئلا يسترقوا شيئا من القرآن، دليل على مشروعية وضع السياسات اللازمة لحفظ البيانات من التطفّل عليها. [27] قال الله تعالى في بيان ذلك الموقف: ((**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا**)).[28]

وكذلك تكوين الهيئآت للإشراف على الدقة في إنجاز المشروعات، والالتزام بالشروط الموضوعة لتلك المشروعات سنة ثابتة لكل أمر جماعي، على سبيل المثال فقدكون سيدنا أبو بكر ﷺ هيئة عليا للإشراف على مشروع جمع القرآن الكريم، وسيدنا عثمان لكتابته. وضابط ذلك وقوله ﷺ: «المسلمون على شروطهم إلا شرط حرم حلالاً أو شرط أحل حراماً»[29].

الخاتمة ونتائج البحث

الأمة من خلال جامعاتها الإسلامية العريقة المنتشرة في العالم الإسلامي بحاجة إلى تطوير مناهجها ومقرراتها الدراسية بما يتوافق ومستجدات العصر، وإحدى السبل إلى ذلك السبق لاستثمار الأدوات والوسائل المنهجية الحديثة والتكنلوجيا المتطورة في عالم التعليم. ومن أحدث ماتوصل إليه العلم الحديث وتكنلوجيا المعلومات هو ما يعرف باسم الأنالاتيكس (analytics). هذا البحث مهّد لاستخدام الأنالاتيكس الأكاديمي التعليمي في الجامعات والكليات الإسلامية ليكون مرجعاً للجودة الشاملة، والاعتماد الأكاديمي، وذلك من خلال تعريف الأنالاتيكس، وشرح فوائده، وبيان عيوبه، ووضع ضوابط لتطبيقه، مع مراعاة الشريعة الإسلامية وخصوصية الدراسات الإسلامية. ومن أهم نتائج البحث ما يلي:

---

[27] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج 8 ص 340).

[28] سورة الجن، من الآية [8-9].

[29] المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد -الرياض - 1422هـ - 2001م (باب الشركة) (ج 5 ص 349) رقم 2088.

1- أن الأنالاتيكس هو منهج يجمع بين البرامج الإحصائية وقواعد البيانات الكبيرة المعقدة التي من الصعب معالجتها باستخدام الأدوات والبرامج التقليدية لإدارة قواعد البيانات. فهو علم يمكن الحاسوب من اتخاذ القرار المبني علي حقائق مأخوذة من التحليل المنهجي للبيانات.

2- أن من مميزات الأنالاتيكس أنه يستطيع فهم وتحليل البيانات بأقسامها الثلاثة: المهيكلة، وغير المهيكلة، والمتعددة الهيكلة.

3- أن الأنالاتيكس الأكاديمي التعليمي مجاله الجامعات وإداراتها المختلفة، والطلاب وسلوكياتهم التعليمية، فهو أداة لقياس، وجمع، وتحليل البيانات عن العملية التعليمية للطلاب، والبيئة التي تحدث فيها، وسياقاتها، لغرض فهمها وتحسينها.

4- أن الأنالاتيكس ينظر إليه باعتباره محركاً لمراقبة وتحسين العملية التعليمية آليا، وذلك من خلال أربع خطوات: جمع البيانات، وإصدار التقارير، والاستشراف، واتخاذ الإجراءات التصحيحية المناسبة.

5- أن للأنالاتيكس التعليمي مزايا جمة للطالب، وللمعلم، ولإدارة الجامعة، من أهمها أنه يوفر نظرة شمولية لتجربة الطالب التعليمية، ويصنع حلول فردية مخصصة لكل طالب.

6- بالنسبة للمعلم، فالأنالاتيكس، من خلال المعلومات التي يجمعها عن الطالب من المصادر والأنظمة المختلفة للجامعة، يمكّن المعلم من التتبع الفوري للأداء الأكاديمي للطالب، وإيجاد وتطوير أساليب التدريس الفعالة له، وتحديد المنهج الذي يناسب كل طالب.

7- وكذلك التقييم اليومي لأداء الجامعة، وكلياتها، وأقسامها، ومقارنته بالخطط والأهداف الموضوعة مسبقاً.

8- وأن لأنالاتيكس يمهد لترسيخ مبدأ المساءلة.

9- وعلى الرغم من المزايا العديدة للأنالاتيكس التعليمي، إلّا أنه يواجه العديد من التحديات، منها الخصوصية، وزيادة الأعباء، وتداخل المسؤوليات، وتوزيع الموارد.

10- لتطبيق الأنالاتيكس التعليمي في الجامعات الإسلامية لا بد من ضوابط، أهمها:

- حفظ خصوصية الطالب، من خلال التزام الشفافية والوضوح في إعلامه بأنواع ومصادر البيانات التي تجمع.
- إنصاف الطالب بأن لا يكون هنالك تبعات سلبية عليه نتيجة التنبؤ بنتيجته.

- وحفظ خصوصية المؤسسة التعليمية أن يكون هنالك سياسات واضحة لحفظ البيانات، وحمايتها من السرقة والتطفّل.
- وتكوين هيئة عليا للإشراف على مشروعات الأنالاتيكس التعليمي للقيام بدور وضع اللوائح والرقابة.

هذا وقد بذلنا في هذا البحث ما وسعنا من جهدٍ، فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من سهوٍ أو زللٍ أو خطأ أو نسيان، فمنا ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

والله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض – 1420هـ الطبعة الثانية، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي، دار السعادة.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض – 1422هـ الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
- الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض – 1423هـ الطبعة الأولى، تحقيق هشام سمير البخاري.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر – بيروت – 1421هـ – 2001م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت – 1405هـ – 1975م الطبعة الحادية عشرة.
- المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد – الرياض – 1422هـ – 2001م.
- Academic analytics, Educause 2007, Campbell, J. and Oblinger, D. - 2007. http://net.educause.edu/ir/library/pdf/PUB6101.pdf
- Application of computerized adaptive testing to educational problems, Weiss, D.J., and Kingsbury, G.G. Journal of Educational Measurement, 21, - 1984 (pp 361-375).
- Framing Action Analytics and Putting Them to Work, Norris, D., Baer. L., Leonard, J., Pugliese, L. and Lefrere P., EDUCAUSE Review, Volume 43, Number 1 - 2008.
- Generating Context-related Feedback for Teachers, Jovanović, J., International Journal of Technology Enhanced Learning (IJTEL),



Vol. 1, No.1/2 - 2008 (pp 47 - 69).

- Monitoring student creative capacity: Using network visualisation to evaluate pedagogical practice, Dawson, S., McWilliam, E., and Poole, G., In proceedings for, Creating value between commerce and commons, Centre for Excellence for Creative Industries and Innovation, Brisbane - Australia - 2008.
- Signals: Applying Academic Analytics, Kimberly, E. A., Educause Quarterly, Volume 33 - 2010.
- Structural Holes and Good Ideas, Burt, R. S, American Journal of Sociology, UChicago Press,110(2), - 2004 (pp 349-399).
- The 2011 Horizon Report, Johnson, L., Smith, R., Willis, H., Levine, A., and Haywood, K. - 2011.
- The rise of the creative class, Florida, R., Basic Books - New York - 2002.





SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 1، العدد 3، تموز/ يوليو 2015م.

RAIN BETWEEN THE EXCLUSIVE OF THE TANZANIAN SYSTEMS AND THE MOST MODERN SCIENCE

المطر بين مقتضى النظم التنزيلي ومنتهى العلم الحديث

د. محمد ويدوس سيمبو

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ماليزيا

widus81@usim.edu.my

1436هـ – 2015م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 18/2/2015
Received in revised form 20/3/2015
Accepted 1/4/2015
Available online 15/4/2015

Keywords:

الملخص

هذا البحث يتناول نظم آيات المطر في التنزيل الحكيم، وكل ما يمت إليه بصلة من تعريف النظم لغة واصطلاحًا، والوقوف على الألفاظ المعبرة عن المطر سواء كانت عن طريق الحقيقة أو من باب الاتساع اللغوي مجازًا، وتصحيح بعض المفاهيم التي تتعارض وفخامة معاني نظم آيات المطر، ووزن ما انتهى إليه تقرير العلوم الكونية الحديثة في ذلك بميزان نظم آيات المطر، واختيار الأنسب والأوفق في ما انتهى إليه هذ التقرير لمقتضى معاني النظم الكريم. كل هذا ينساق في المقام الأول إلى غاية واحدة، وهي حمل النظم القرآني على أفخر المعاني التنزيلية وأجزلها.

المقدمة

مما عليه أكثر أهل البيان أن الإعجاز القرآني يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم[1]، وهو الذي أنيط به التحدي من أن يأتي بمثله الإنس والجن، إلا أنهم بهتوا واستسلموا أبد الآبدين. والنظم التنزيلي له وجوه عديدة، البعض منها أظهر، والأخر أدق وأغمض، ولهذا قيض الله تعالى له رجالاً موفقين كتبوا فيه نفائس المؤلفات، ومن أشهرهم الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وشيخ الإسلام أبو السعود في تفسيره الموسوم بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، والإمام البقاعي في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وغيرهم.

وللنظم الكريم ثمرات جليلة، فمن أمعن النظر فيها نظرًا تدبريًا يستطيع نقد الروايات بالمأثور، ودفع ما يوهم التعارض بين الآيات، وبيان الآيات المجملة، ومعرفة المراد من المبهمات، وترجيح المحتملات التفسيرية، وتوجيه التكرار والتشابه اللفظى من آيات التنزيل، وتحقيق نسبة القول إلى قائله[2].

وعلى الرغم من كثرة فوائده كما رأيت، إلا أن الكل ينساق في المقام الأول إلى غاية واحدة، وهي حمل النظم القرآني على أفخر المعاني التنزيلية وأجزلها.

وهذا البحث إن هو إلا محاولة أخرى للوقوف على نظم آيات المطر في التنزيل الحكيم، وتصحيح بعض المفاهيم التي تتعارض وفخامة معاني نظم آيات المطر، ووزن ما انتهى إليه تقرير العلوم الكونية الحديثة في ذلك بميزان نظم آيات المطر، واختيار الأنسب والأوفق منه لمقتضى معاني النظم الكريم.

المبحث الأول: النظم لغة واصطلاحًا

قال صاحب القاموس وشارحه –طيب الله ثراهما–: "النظم: التأليف وضم شيء إلى شيء آخر، وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمته. (و) النظم: (المنظوم) وصف بالمصدر، يقال نظم من لؤلؤ وخرز. (و) النظم: (الجماعة من الجراد). يقال جاءنا نظم من الجراد، وهو الكثير. (و) النظم: (الثريا) على التشبيه بالنظم من اللؤلؤ. ونظم اللؤلؤ

---

[1] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسى، دار سوزلر – القاهرة – 2002م الطبعة الثالثة، تحقيق محمد إحسان قاسم الصالحى (ص 22).

[2] وقد تناولنا أثر نظم القرآن في معالجة القضايا التفسيرية هذه في رسالة علمية معنونة بـ"أثر نظم القرآن في تفسير شيخ الإسلام أبي السعود (من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الأنعام). وذلك في مرحلة الدكتوراه بجامعة الأزهر الشريف.

ينظمه نظمًا ونظامًا، بالكسر، ونظمه تنظيمًا: ألفه وجمعه في سلك فانتظم وتنظم، ومنه: نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل، وله نظم حسن، ودر منظوم ومنظم. وانتظمه بالرمح: اختله، وانتظم ساقيه وجانبيه، كما قالوا: اختل فؤاده، أي: ضمهما بالسنان.

والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه، جمع بُنُظم (ككتب، و) من المجاز النظام: ملاك الأمر، تقول: ليس لهذا الأمر من نظام، إذا لم تستقم طريقته (جمع بأنظمة، وأناظيم، ونظم). وأيضًا: السيرة، والهدي، والعادة، يقال: ما زال على نظام واحد، أي: عادة، وليس لأمرهم نظام، أي ليس له هدي ولا متعلق ولا استقامة"[3].

وقال الشارح استدراكًا على صاحب القاموس: "ومما يستدرك عليه: الانتظام: الاتساق، وتناظمت الصخور: تلاصقت، ونظم الحبل: شلّه، ونظم الخَوَّاص المقْلُ[4]: ضفره، وتنظم الكلام وانتظمه، وهذان البيتان ينتظمهما معنى واحد، ورجل نَظَّام، ونِظِّيم: كثير نظم الشعر، ونظم القرآن: لفظه، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة". أ هـ بتصرف[5].

وقد أظهر صاحب القاموس وشارحه أن كل منظوم لا يقال: إنه نظم إلا إذا توفر فيه معنى الجمع والكثرة، فلا يقال لأمر واحد: إنه نظم أو هو منظوم.

كما لا يقال إنه منه إلا إذا أفاد معنى الضم والتنسيق المستتبع منه معنى الصلابة والاستقامة، فلا يقال لأمرين أو أكثر: إنه نظمهما أو هما منظومان، إلا إذا رتبا على نسق معين مستقيم وضعهما، فلا يقال إذن لأمر عشوائي: إنه نظم أو منظوم.

هذا معنى النظم لغة. أما في الاصطلاح فقد عرفه الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[6].

ويقرب من هذا التعريف قول الجرجاني: "النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات

---

[3] تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد المرتضى الزبيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – 2000م، تحقيق إبراهيم الترزي (ج 33 ص 496-498). بتصرف.

[4] المقْل المكّي: ثمر شجر الدوم، ينضج ويؤكل، خشن، قابض، بارد، مقو للمعدة. كذا في القاموس. وقال المرتضى الزبيدي: "هو الشبيه بالنخلة في حالاتها". انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – 1980م (ج 4 ص 51)؛ وتاج العروس، مرتضى الزبيدي (ج 30 ص 414).

[5] تاج العروس، مرتضى الزبيدي (ج 33 ص 499).

[6] دلائل الإعجاز، الجرجاني (ص 4).

على حسب ما يقتضيه العقل"[7].

والظاهر من إفادة صاحبي الدلائل والتعريفات أن الجزء الأصغر من النظم هو تأليف الكلمة وضمها إلى أخرى، فلا يقال: إنه من النظم ما جرى في ضم حروف المباني المكونة للكلمة وترتيبها مثل الضاد والراء والباء من كلمة "ضرب"، كما لا يقال: إنه منه ما تبع ذلك الضم والترتيب من التشديد والغنة والمد والحركات؛ فإن ترتيب هذه الأشياء لا يدخل في مصطلح النظم.

وعلل البعض هذا الحكم فقال: "إن النظم الذي نتحدث عنه يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، ولا كذلك نظم الحروف؛ إذ المعتبر في النظم ضم لفظة مع أخرى المترتب عليه حسن الدلالة، ولا شك أن هذه الحالة غير موجودة البتة في نظم الحروف، هذا من جانب، والآخر أنه لو كان النظم يقصد به إلى اللفظ نفسه بحيث يصبح توالي الألفاظ في النطق نظمًا على نسق نظم الحروف لوجب ألا يختلف حال الاثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه؛ لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسًا واحدًا، ولا يعرف أحدهما من ذلك شيئًا يجهله الآخر"[8] بتصرف.

هذا الحكم يصدق على كل نظم من كلام البشر سوى القرآن. أما نظم القرآن الكريم فليس على هذا النحو؛ إذ أقر العلماء على أن ترتيب حروف القرآن هو نظم بعينه عجز عنه الخلق في الإتيان بمثله؛ لأن القرآن معجز أيضًا بنغم ألفاظه، وأصوات الحروف المكونة للمفردة المتصفة بالرخوة، والشدة، والهمس، والجهر، وما تشتمله من المعاني المدلولة المتسقة مع تلك الأصوات والأنغام.

قال الشيخ الزرقاني، وهو يتحدث عن خصائص أسلوب القرآن: "الخاصة الأولى مسحة القرآن اللفظية، فإنها مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكتاته، اتساقًا عجيبًا، وائتلافًا رائعًا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور"[9].

وقريب من هذا البيان مقولة الدكتور محمود السيد شيحون عند حديثه عن مظاهر إعجاز نظم القرآن، حيث

---

(7) التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان – بيروت – 1985م (ص 361).

(8) مكان النحو من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، د. إبراهيم محمد عبد الله الخولي، دار البصائر – القاهرة – 2008م الطبعة الأولى (ص 79).

(9) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي – بيروت – 1999م، اعتناء به: فواز أحمد زمرلي (ج 2 ص 244).

يقول: "المظهر الثاني المفردة القرآنية. إذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية رأيتها تمتاز بمميزات ثلاث رئيسة، هي: جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها، لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات"[10].

والظاهر من جملة النقول أن تأليف حروف المباني المكونة لمفردة من المفردات القرآنية هو بعينه نظم؛ إذ يترتب عليه النظام الصوتي البديع الدال على معنى، وذلك بالضرورة عند تركيبها في الجمل القرآنية.

فنظم القرآن إذن هو تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وآياته، وسوره، وموضوعاته التي يشتمل عليها المصحف الجليل من حيث اللفظ والمعنى، وهو وجه من وجوه إعجازه. والله أعلم.

المبحث الثاني: نظم ألفاظ وكلمات القرآن الكريم

المطر والألفاظ المعبرة عنه ورد بها القرآن العزيز في أكثر من موطن، ولهذا، كان من الأولى بادئ ذى بدء أن يقف القارئ الكريم على كيفية النظم الجليل في اختيار ألفاظه وكلماته ووضعها داخل منظومة المعنى التنزيلي.

من المعلوم بداهة، أن القرآن الكريم بلغ في نظم ألفاظه وكلماته غاية في الدقة، وهو أجل من أن يضاهيه أي كلام بشري مهما بلغ الغاية القصوى من البلاغة، حتى ولو كان ذلك من عند الرسول ﷺ؛ إذ المتأمل في كل منهما على حدة يرى الفرق بينهما في الفصاحة والبيان كالفرق بين الثرى والثريا، كما يرى أن للقرآن في نظم ألفاظه رسومًا كثيرة، فكان يختار رسمًا دون رسم قصدًا لأمر يتوخاه المقام، فتجد فيه حينًا زيادة في أصل بنية الكلمة، وفي حين آخر تجد فيه الحذف، ضرورة أنه كلما زاد اللفظ زاد المعنى.

انظر إلى قول الله ﷻ: ((**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ**)).[11] قال جار الله الزمخشري: "والكبكبة: تكرير

[10] الإعجاز في نظم القرآن، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – 1977م الطبعة الأولى (ص 77).

[11] سورة الشعراء، من الآية: [94].

الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جنهم ينكُب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها"[12]. وقال أيضًا في تفسيره لقوله تعالى: ((**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا**))[13] ((اسْتَيْأَسُوا)) أي يئسوا، وزيادة السين والتاء في المبالغة، نحو ما مر في استعصم[14]"[15].

هذا في الزيادة، أما في الحذف فإنه لا توجد في القرآن الكريم كلمة محذوفة إلا لغرض، ومن أمثلة ذلك: إنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإن زمنه أقصر ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث.

أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل، فإذا كان المقام مقام إيجاز أوجز في ذكر الفعل فاقتطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة.

ومن ذلك قوله جل وعلا: ((**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**))،[16] وذلك في السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب. ولما كان الصعود على هذا السد أيسر من إحداث ثقب فيه لمرور الجيش فحذف من الحدث الخفيف، فقال: ((فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ))، بخلاف الفعل الشاق الطويل، فإنه لم يحذف، بل أعطاه أطول صيغة له، فقال: ((فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا))، فخفف بالحذف من الفعل بخلاف الفعل الشاق الطويل.

ثم إنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنًا أقصر من إحداث الثقب فيه حذف من الفعل وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلبه كل حدث". كذا منقول بتصرف عن السامرائى في بلاغة الكلمة[17].

هذا، ولألفاظ القرآن رسوم أخرى غير التي تم بسطها، مما يطول ذكرها ويصعب إلمامها في بحث قصير مثل

---

[12] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، مكتبة العبيكان – الرياض – 1998م الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره (ج 4 ص 400).

[13] سورة يوسف، من الآية: [80].

[14] قال العلامة الزمخشري عند تفسيره لقوله ﷻ: ((**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**)) سورة يوسف، من الآية: [32]، "جيء به مبالغة في الدلالة على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها، وهو بيان لما كان من يوسف عليه لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان". انظر: الكشاف، الزمخشري (ج 3 ص 280).

[15] الكشاف، الزمخشري (ج 3 ص 312).

[16] سورة الكهف، من الآية: [97].

[17] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، أ.د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة – 2006م الطبعة الألى (ص 9-11).

هذا، وتلخيصًا لجوانب موضوعنا هذا وجمعًا لشعبه أتيناك أيها القارئ الكريم بأقوال بعض العلماء كما يلي: قال بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في المكتوب التاسع عشر: "إن كلمات القرآن الكريم وجمله ينظر بعضها إلى البعض الآخر، فتتواجه وتتناظر الكلمات والجمل، فقد تكون كلمة واحدة متوجهة إلى عشرة مواضع، وعندها تجد فيها عشر نكات بلاغية، وعشر علاقات تربطها مع الكلمات الأخرى"[18].

وفي كتيبه (المعجزات القرآنية) يقول: "إن جزالة نظم القرآن الخارقة وتناسقه نابعة من نظم ألفاظه وكلماته المتعانقة لكل جملة، والتي لا يصلح مكانها غيرها؛ فإن الكل منها له من الكلام نصيب يمد به المقصد"[19].

وللدكتور محمد عبد الله دراز في هذا المقام كلام نفيس أيضًا، حيث يقول: "لا شك أنك إذا نظرت إلى القرآن حيث شئت، تجد بيانًا قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية؛ نقية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، وافية لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية. كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه، ففي كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كل حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جمله من آياته، سر الحياة الذي ينتظم بأداته. وبالجملة ترى كما يقول الباقلاني: محاسن متوالية وبدائع تترا"[20].

ضعْ يدك حيث شئت من المصحف، وعدّ ما أحصته كفك من الكلمات عدًا، ثم أحصِ عدتها من أبلغ كلام تختاره خارجًا عن الدفتين[21]، وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعاني إلى ذلك، ثم انظر كم كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام دون إخلال بغرض قائله؟ وأي كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها هناك؟ فكتاب الله تعالى كما يقول ابن عطية: "لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لن

---

[18] المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، مكتبة سوزلر – القاهرة – 2011م الطبعة السادسة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (ج 2 ص 228).

[19] المعجزات القرآنية، بديع الزمان سعيد النورسي، مكتبة سوزلر – القاهرة – 2009م الطبعة الثانية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي (ص 20).

[20] إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف – مصر، تحقيق الدكتور السيد أحمد صقر (ص 192).

[21] أي دفتي المصحف الجليل.

توجد"[22]؛ بل هو كما وصفه الله ((**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**)) [23]"[24] بتصرف يسير.

وزاد عليه البعض فقال: "إن اصطفاء الألفاظ أسماءً كانت أو أفعالاً أو حروفًا يفضي إلى كون هذه الكلمة المصطفاة صافية نقية من حوشي[25] اللفظ أو مستكرهه، ثم هي عينها ذات جرس وإيقاع يلتئمان مع المعنى المعبر عنه، ويبرزانه ويشكلان جزءًا من مضمونه، وهي في الوقت ذاته لفظة موحية ذات ظلال وارفة تقود إلى معان كثيرة في ظل المعنى الخاص. وهذه الفكرة هي مقتضى فكرة النظم القرآني الذي تتضافر فيه ألفاظه ومعانيه وظلاله وإيحاءاته لترسم المعنى المراد وتدل عليه"[26].

قلت: هذه النقول على الرغم من كثرتها؛ إلا أن بيان كل منها يكاد ينساق في المقام الأول إلى أن ألفاظ وكلمات القرآن تعد مفتاحًا لكنوز دقائق المعاني ولطائفها، غير أن معرفة ذلك يستوجب من كل قارئ للنظم الشريف أن يمعن النظر إمعانًا تدبريًا في رسوم ألفاظه وكلماته، كلّ على حدة، حتى ينكشف له أدق المعاني التنزيلية وأفخرها. والله أعلم.

المبحث الثالث: الألفاظ المعبرة عن المطر في النظم القرآني

بعد أن وقفت على دقة القرآن في اختيار ألفاظه، تأخذ بك أيها القارئ الكريم جولة أخرى للوقوف على الألفاظ المعبرة عن المطر في القرآن.

وقد استوعب على تلك الألفاظ الأستاذ الدكتور محيسن ختلان البكري في بحثه، حيث يرى أن البعض منها كانت دلالاته على المطر عن طريق الحقيقة، والآخر عن طريق المجاز.

---

[22] المحرر الوجيز، ابن عطية (ج 1 ص 52)؛ والإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (النوع الرابع والستون: في إعجاز القرآن) (ج 2 ص 467).

[23] سورة هود، من الآية: [1].

[24] النبأ العظيم، دراز (ص 111-112).

[25] الحُوْشِيّ: الوحشي، وحوشي الكلام وحشيه وغريبه، ويقال: فلان يتتبع حوشي الكلام، ووحشي الكلام، وعقمي الكلام بمعنى واحد، وفي حديث عمر: "ولم يتتبع حوشي الكلام"، أي وحشيه والغريب المشكل منه. انظر: لسان العرب (حوش)، ابن منظور (ج 12 ص 1049).

[26] النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين، مكتبة التوبة - الرياض - 1996م الطبعة الأولى (ص 35).

ففي الحقيقة ثمانية ألفاظ: المطر، الغيث، الصيّب، الوابل، الطل، الودق، الماء، الحسبان.

وفي المجاز أربعة ألفاظ: السماء، الرزق، الرحمة، والرجع.

ولنشرع الآن في بيان كل واحد منها على حدة، فعن طريق الحقيقة:

المطر: هو الماء المنسكب من السحاب[27]. والميم، والطاء، والراء أصل يدل على معنيين: أولهما: الغيث النازل من السماء، وثانيهما: جنس من العدو[28].

وكان أكثر العلماء والدارسين لا يفرقون بين "المطر" و"الغيث"، فكانوا يضعونهما في سلة واحدة، وكأنهما مترادفان، والحقيقة أن لكل لفظ معنى خاصا به، وقد تنبه إلى هذا الجاحظ حيث قال: "وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث"[29].

ودليل ما ذهب إليه الجاحظ قوله تعالى: ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ**))،[30] والسجيل طين متحجر. وقوله جل ثناؤه: ((**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**))،[31] وقوله ﷻ: ((**وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ**))،[32] والقوم الذين آخذهم الله بالعذاب والانتقام هم قوم لوط عليه السلام في قريتهم

---

[27] لسان العرب، ابن منظور (ج 46 ص 4223).

[28] جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد، دار العلم للملايين – بيروت – 1987م الطبعة الأولى، تحقيق وتقديم: الدكتور رمزي منير بعلبكي (ج 2 ص 760).

[29] البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، مكتبة الخانجي – القاهرة – 1418هـ – 1998م الطبعة السابعة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون (ج 1 ص 20).

[30] سورة الحجر، من الآية: [74].

[31] سورة النمل، من الآية: [58].

[32] سورة الفرقان، من الآية: [40].

سدوم[33].

بعد أن انكشف لنا حقيقة كلمة المطر في النظم التنزيلي، نقول أن للمطر معنيين: الأول منهما حقيقي وهو ما شاع في كلام أكثر الخاصة والعامة، والثاني مجازي، وهو ما اقتصر عليه التعبير القرآني؛ إذ لا تجد القرآن يلفظ بالمطر إلا في موضع الانتقام والعذاب كما مر.

الغيث: وهو في اللغة الإصابة، وأغاث الغيث الأرض، أي أصابها بالمطر، وهو الماء المنزل من السحاب إلى الأرض، وربما سمي السحاب غيثًا[34]؛ لأنه يغيث الأرض بالنبات والكلأ.

قال تعالى: ((**ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**)).[35]

وقد ورد "الغيث" في أكثر من موضع في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ((**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ**))،[36] وقوله: ((**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**))،[37] وقوله: ((**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**)).[38]

ففي الآخير شبه ترف الحياة الدنيا وزينتها والتفاخر بالأموال والأولاد بغيث أو مطر، أعجب الزراع النبات الذي نما وأينع من جراء هذا الغيث، وقال تعالى: ((كَمَثَلِ غَيْثٍ))، ولم يقل: "كمثل مطر"؛ لأن المطر لا يأتي في القرآن إلا في موضع العذاب والانتقام، بينما الغيث يكون في موضع الخير والنماء، وهذا ما يتمناه الزراع.

الصيّب: الصيّب بتشديد الياء وكسرها السحاب ذو الصوب، وهو الغيث، وبابه نصر[39].

والصيب المطر الغزير، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم وصفًا لحال المنافقين في إظهار الإيمان، وما هم بمؤمنين في الحقيقة، وذلك عند قوله تعالى: ((**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ**

---

[33] معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر - بيروت - 1397هـ - 1977م (ج 3 ص 200).

[34] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة الكلية - مصر - 1329هـ الطبعة الأولى (فصل الغين إلى النون) (ص 65).

[35] سورة يوسف، من الآية: [49].

[36] سورة شورى، من الآية: [28].

[37] سورة لقمان، من الآية: [34].

[38] سورة الحديد، من الآية: [20].

[39] مختار الصحاح، الرازي (فصل الصاد، والضاد، والطاء) (ص34).

ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)).[40]

هذا تشبيه حال بحال، وقد فسر ابن قيم الجوزية ذلك بقوله: "... فضرب الله للمنافقين بحسب حالهم مثلين، مثلا ناريًا، ومثلا مائيًا لما في النار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي لا يصوب، أي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد، وبرق، فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتدت زواجر القرآن، ووعيده، وتهديده، وأوامره، ونواهيه، وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحاله كحال من أصابه المطر فيه ظلمة ورعد وبرق، فلضعفه وخوره جعل أصابعه في أذنيه وغمض عينيه من صاعقة تصيبه"[41].

الوابل: وهو المطر الشديد، وبابه وعد، قال ابن أبي بكر الرازي: "الوابل المطر الشديد، وقد وَبِلت السماء من باب وعد"[42]. والذي يعضد قول صاحب مختار الصحاح قوله تعالى: ((**فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**)).[43]

وقد وردت لفظة "وابل" في أكثر من موطن في القرآن، كقوله تعالى وصفًا لحال المنافقين في الإنفاق: ((**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**)).[44]

---

(40) سورة البقرة، من الآية: [17-19].

(41) أمثال القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة الزمان – بغداد – 1407هـ – 1987م، تحقيق الدكتور موسى بناي علوان العكيلي (ص 53-55).

(42) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة الكلية – مصر – 1329هـ الطبعة الأولى (فصل الواو) (ص 456).

(43) سورة المزمل، من الآية: [16].

(44) سورة البقرة، من الآية: [265].

لقد شبه النظم الجليل الذي ينفق الشيء الكثير بالوابل، وشبه الذي ينفق الشيء القليل بالطل. وفي بيانه يقول الإمام ابن قيم الجوزية: "والطل مطر صغير القدر يكفيها لكرم منبتها تزكو على الطل وتنمو عليه، مع أن في ذكر الوابل والطل إشارة إلى نوعي الإنفاق الكثير والقليل، فمنهم من يكون إنفاقه وابلاً، ومنهم من يكون إنفاقه طلاً، والله لا يضيع مثقال ذرة"[45].

الطل: الطّل بفتح الطاء مصدر "طَلّ الإبل،" إذا ساقها سوقًا عنيفًا[46]، والطل هو المطر الضعيف، وطلت الأرض إذا نزل عليها الطل[47].

وقد ورد "الطل" في قوله تعالى: ((**فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**))،[48] وقد تقدم بيان ذلك في كلامنا على الوابل، ففي هذا التعبير تأكيد لمدح هذه الربوة، بأن الطل يكفيها وينوب مناب الوابل في إخراج الثمرة ضعفين، وذلك لكرم الأرض وطيبها. قال المبرد وغيره: "تقديره فطل يكفيها"[49]، وقال الماوردي: "وزرع الطل أضعف من زرع المطر، وأقل ريعًا، وفيه وإن قل تماسك ونفع"[50].

---

[45] أمثال القرآن، ابن قيم الجوزية (ص116).

[46] المثلث، عبد الله بن محمد بن سيد البطليوسي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر– العراق – 1983م، تحقيق الدكتور صلاح مهدي على الفرطوسي (طلل) (ج 2 ص 82).

[47] المثلث،ابن سيد البطليوسي، (ج 2 ص 82).

[48] سورة البقرة، من الآية: [265].

[49] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض – 1423هـ – 2003م، اعتناء به وتصحيح: الشيخ هشام سمير البخاري (ج 3 ص 317).

[50] النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (ج 1 ص 340).

الودق: الودق بفتح الواو وسكون الدال، المطر عامة، سواء أكان سديدًا أم غزيرًا، فكل ما نزل من ماء السماء هو "ودق". قال الخليل: "الودق: المطر كله، شديده، وهينه"[51].

وينسجم هذا القول وما انتهى إليه كثير من المفسرين من أن الودق هو المطر عامة دون تعيين وصفه سواء أكان شديدًا أم هينًا، وهو المرتضى كذلك عندنا هنا. وذلك عند تفسيرهم قوله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ**)).[52]

فالودق هنا المطر عامة[53]. غير أن الخليل بعد أن قال ما قال، ورأي معنى هذه الكلمة في دواوين العرب انتهى إلى القول بأن الودق هو الشديد من المطر دون هينه لانعقاد الإجماع عليه. قالت العرب: "حرب ذات ودقين،" أي شديدة تشبه بسحابة ذات مطرتين شديدتين[54].

الماء: أصل "ماء": "ماه"، فالهمزة مبدلة من الهاء في موضع اللام[55]، والأصل "مَوَهٌ" تحركت الواو وفتح ما قبلها، فقلبت ألفًا فصارت "ماهٌ"، ويجمع على أمواه، ومياه.

وقد وردت "ماء" في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مرادًا بها المطر، كقوله تعالى: ((**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ**)).[56] قال الواحدي في البسيط نقلاً عن ابن عباس ﷺ أن الماء هنا أريد به المطر[57]، وهو ما انتهى إليه غيره من المفسرين[58].

---

[51] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الرشيد – بغداد – 1405هـ – 1985م، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي (و د ق) (ج 5 ص 198).

[52] سورة النور، من الآية: [43].

[53] الكشاف، الزمخشرى (ج 4 ص 311)؛ والتحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس – 1984م (ج 18 ص 261).

[54] العين، الخليل (و د ق)، (ج 5 ص 198).

[55] لسان العرب، ابن منظور (موه) (ج 5 ص 198).

[56] سورة الأنعام، من الآية: [99].

[57] مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازى (ج 13 ص 112).

[58] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار – القاهرة – 1366هـ – 1947م الطبعة الثانية (ج 7 ص 642)؛ والتحرير والتنوير، ابن عاشور (ج 7 ص 398).

الحسبان: الحسبان بضم الحاء، هي العذاب والبلاء[59]. وقد جمع أقوال العلماء في ذلك الإمام القرطبي في تفسيره فقال: "ذهب أبو عبيدة والأخفاش والقتبي إلى أن الحسبان هي مرامي السماء، واحدتها حسبانة، وقال ابن الأعرابي: الحسبانة السحابة، والحُسبانة الوسادة، والحسبانة الصاعقة. وقال أبو زياد الكلاولي: أصاب الأرض حسبان، أي جراد، والحسبان أيضًا الحساب"[60].

وبناء عليه، فالحسبان لفظ مشترك لهذه المعاني المتعددة. قال تعالى: ((**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**))،[61] وقال تعالى: ((**وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ**))،[62] أي عذابا وبلاءًا من السماء.

قال ابن منظور: "والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها، ولهذا قال: ((فتصبح صعيدًا زلقًا))، أي ترابًا أملس لا نبات فيه. وهذا القول مناسب للآية، فكأن الله تعالى أرسل على تلك الجنة عذابًا من السماء يتمثل بمطر شديد تصحبه عاصفة هوجاء كسرت الأشجار والنخيل، فحولتها إلى أرض ملساء لا نبت فيها فأصبحت خاوية على عروشها كما وصفها الله تعالى"[63].

هذا المطر من حيث وروده على الحقيقة، أما كونه عن طريق المجاز ففي بضع كلمات، وذلك من باب التوسع على النحو الأتى:

السماء: عرف اللغويون السماء بأنها كل ما علانا، ولذلك قيل لسقف البيت سماء[64].

---

[59] لسان العرب، ابن منظور (حسب) (ج 9 ص 866).

[60] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 10 ص 408).

[61] سورة الرحمن، من الآية: [5].

[62] سورة الكهف، من الآية: [40].

[63] لسان العرب، ابن منظور (حسب) (ج 9 ص 867).

[64] العين، الخليل (سمو) (ج 7 ص 319)، ومختار الصحاح، ابن أبي بكر الرازي (فصل السين) (ص 605)

وترد السماء في العربية مرادًا بها ثلاثة معان، الأول منها: هو كل ما علاك، والثاني: سقف البيت، والثالث: المطر. فهي إذن مشترك لهذه المعاني. فإذا كانت بمعنى العلو أنثت في لغة العرب[65]؛ لأنها جمعت "سماءة"[66] أو جمع "أسمية" و"سماوات"[67]، قال تعالى: ((**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**))،[68] قال ((هِيَ)) ولم يقل (هو)، وقال ((لَهَا)) ولم يقل (له)، فدل على أنها مؤنث. أما إذا كانت السماء بمعنى "سقف البيت" فقد قال الخليل -كما ورد عن سيبويه- أنها تذكر، واحتج بقوله تعالى: ((**السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ**))،[69] فقد كان يفسر ذلك في ضوء نظام العربية على منهجه. كذا في الكتاب[70].

أما إذا كانت السماء بمعنى المطر ذكّر. قال ابن خالويه: "والسماء إذا أريد به المطر فهو مذكر، وجمعه سُمَيّ، وأسمِية، تقول العرب: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، أي المطر"[71].

---

[65] الأزمنة لقطرب، مجلة المورد (مج 13 ج 3 ص 113).

[66] لسان العرب، ابن منظور (سمو) (ج 24 ص 2108).

[67] مختار الصحاح، الرازي (فصل السين) (ص 605).

[68] سورة فصلت، من الآية: [11].

[69] سورة المزمل، من الآية: [18].

[70] الكتاب، سيبويه عمرو بن بشر بن عثمان، مكتبة الخانجي - القاهرة - 1408هـ - 1985م، تحقيق: عبد السلام محمد هاورن (ج 2 ص 47).

[71] إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد ابن خالويه، دار الكتب المصرية - مصر - 1941هـ (ص 109).

وقد ورد السماء بمعنى المطر في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ((**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**))،[72] أي المطر متتابعًا، أي إن هذه السحب تدر مطرًا متتابعًا ينبت الخير[73]، وقوله تعالى: ((**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**))،[74] أي من السماء من مطر وثلج ونحوه[75].

الرزق: بكسر الراء هو ما ينتفع به، وهو العطاء[76]، أو هو ما يعتمد عليه. قال الخليل: "أرزق الله يرزق العباد رزقًا، اعتمدوا عليه، وهو الاسم، أخرج على المصدر، وقيل: رَزْق على الأصل، وهو المصدر"[77].

وقد يسمى المطر رزقًا من باب المجاز. ففي اللسان قوله: "جعل الرزق مطرًا؛ لأن الرزق عنه يكون"[78].

وقد ورد "المطر" بهذا المعنى في النظم التنزيلي، وذلك عند قوله تعالى: ((**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**)).[79] قال أبو السعود: "أي سبب الرزق، وهو المطر، وإفراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته

---

(72) سورة هود، من الآية: [52].

(73) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي – بيروت (ج 1 ص 272).

(74) سورة يونس، من الآية: [31].

(75) تفسير الميزان، الطباطبائي (ج 2 ص 255).

(76) مختار الصحاح، الرازي (فصل الذال والراء) (ص 367).

(77) العين، الخليل (رزق) (ج 5 ص 89).

(78) لسان العرب، ابن منظور (ج 19 ص 1637).

(79) سورة غافر، من الآية: [13].

تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر"[80].

وقوله تعالى: ((**وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ**))،[81] فإطلاق الرزق على المطر مجاز مرسل، علاقته المسببية، وهي أن يكون المنقول عنه مسببًا وأثرًا لشيء آخر، وذلك فيما ذكر لفظ المسبب وأريد به السبب"[82].

لرحمة: الرحمة بفتح الراء وسكون الحاء: الرقة والتعطف، وتراحم القوم إذا رحم بعضهم بعضًا[83]. وسمي الغيث رحمة؛ لأنه تعالى برحمته ينزل من السماء[84].

وقد وردت "الرحمة" في القرآن الكريم مرادًا بها المطر في عدة مواضع، كقوله تعالى: ((**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**))،[85] فالرحمة هنا هي المطر، والدليل على ذلك قوله: ((قَرِيبٌ))، ولم يقل "قريبة". وقد خرجت هذه الكلمة من معناها الحقيقى، وهو الرقة والتلطف إلى معنى مجازى، وهو المطر اتساعًا في اللغة، ويعضده قوله تعالى:

---

[80] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (ج 5 ص 10).

[81] سورة الجاثية، من الآية: [5].

[82] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب محمد بن عبد الرحمن القزويني، مكتبة النهضة – بغداد (ص 156).

[83] مختار الصحاح، الرازي (فصل الراء) (ص 476).

[84] لسان العرب، ابن منظور (رحم) (ج 19 ص 1613).

[85] سورة الأعراف، من الآية: [56].

((**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**))،[86] وقوله: ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ**))،[87] جاء في تفسير الميزان: "((مُبَشِّرَاتٍ))، أي تبشر بالمطر"[88].

هذا، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة وردت فيها الرحمة بمعنى المطر لا يمكن لمثل هذ البحث القصير استيعابها، ولهذا نكتفي هنا بهذه المواضع.

الرجع: وهو مصدر من رجع يرجع رجْعًا من باب فتح. وللفعل مصادر أخرى غير هذا، وهو الرجوع، والرجعى، والرجعان، والمرجع، والمرجعة[89]. وفي التنزيل: ((**إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ**))،[90] وقوله تعالى: ((**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**))،[91] ويقال ذات النفع[92]، وهو المطر. قال الرازي نقلا عن الزجاج: "الرجع هو المطر؛ لأنه يجيء ويتكرر. واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسمًا موضوعًا على المطر، بل سمي رجعًا على سبيل المجاز"[93].

---

[86] سورة الفرقان، من الآية: [48].

[87] سورة الروم، من الآية: [46].

[88] تفسير الميزان، الطباطبائي (ج 21 ص 471).

[89] لسان العرب، ابن منظور (رجع) (ص 1591).

[90] سورة العلق، من الآية: [8].

[91] سورة الطارق، من الآية: [11].

[92] مختار الصحاح، الرازى (فصل الراء) (ص 305).

[93] مفاتيح الغيب، الرازي ج 31 ص 133).

المبحث الرابع: مراعاة جزالة النظم التنزيلي يصحح الأخطاء التفسيرية في تناول آيات المطر

كثرت الأقوال في المنزل من عند الله تعالى جهة السماء سواء أكان المنزل منه رحمة أم عذابًا كثرة آياته، إلا أن البعض منها لا يخلو من خطأ في التفسير، ففي البعض منها قول بأن في الهواء بحرًا معلقًا ما بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة على قوم لوط عذابًا لهم، وذلك عند قوله تعالى: ((**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ**))،[94][95] وقول[96] بأن في السماء جبالاً من برد –على الحقيقة–[97]. جاء منها السجيل المنضود على قوم لوط، ويعضده قوله تعالى: ((**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ**))،[98] كذا في تفسير الإمام القرطبي نقلاً عن عكرمة وغيره. وفي تفسير الإمام الطبري عن ابن أبزى أن "البحرين" في قوله تعالى: ((**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**))[99] تعني وجود بحر في السماء وبحر في الأرض[100].

وبناءًا عليه، يجب تنزيه النظم الجليل عن الحمل على أمثال هذه الأقوال؛ لأنها تخل بفخامة المعاني التنزيلية، فإن ((مِن)) هنا تعنى جهة السماء، لا السماء نفسها. وقد تولى دحض مثل هذه الشبهات وبيان ما هو المرتضى في ذلك من تفسير بديع الزمان سعيد النورسي، وذلك عند تفسيره قوله تعالى: ((**أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**)).[101]

وها هو نص كلامه: "وان ذكر ((مِّنَ السَّمَاءِ)) مع بداهة أن المطر لا يجئ الاّ من جهتها إيماءًا بالتخصيص إلى

---

(94) سورة هود، من الآية: [82].

(95) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 9 ص 82).

(96) كابن جزي. انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة، حسن عباس زكي – القاهرة – 1419هـ، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان (ج 4 ص 51).

(97) قلنا ذلك؛ لأن بعض المفسرين أرجعوها إلى المجاز دون الحقيقة، فالتقدير عندهم هنا "وينزل من السماء قدر جبال، أو مثل جبال من برد إلى الأرض." وفي تفسير الوسيط للشيخ محمد سيد طنطاوي: "وينزل سبحانه من جهة السماء قطعًا من السحاب كأنها القطع من الجبال في عظمها وضخامتها." انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج 12 ص 289)؛ و التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – 1997م الطبعة الأولى، ج 10 ص 138).

(98) سورة النور، من الآية: [43].

(99) سورة الرحمن، من الآية: [40].

(100) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين – بيروت – 1993م الطبعة الثامنة وعشرين (ص 200).

(101) سورة البقرة، من الآية: [19].

التعميم، وبالتقييد إلى الإطلاق نظير التقييد في ((**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ**))،[102] أي مطبق آخذ بآفاق السماء. وما استدل بعض المفسرين بلفظ من السماء هنا وفي آية ((**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ**))[103] على نزول المطر من جرم السماء حتى تخيل البعض وجود بحر تحت السماء، فنظر البلاغة لا يرى عليه سكةَ الحقيقة. بل المعنى: من جهة السماء"[104].

المبحث الخامس: المرتضى مما انتهى إليه تقرير العلوم الكونية الحديثة في نزول المطر بمنظار نظم آياته القرآنية

بعد أن سقنا لك أيها القارئ الكريم آيات التنزيل الجليل في المطر والألفاظ المعبرة عنه من حيث كونها على الحقيقة أو المجاز قد يتسأل المستفهم –وهو حقه– فيقول: هذه الآيات التي ذكرتها تتحدث عن نزول الامطار، ولكن كيف تأتي الأمطار من البحر المالح؟

وللأجابة عن هذا أقول: إنه من بين آيات المطر في القرآن الكريم آية واحدة في سورة النور تجلى حقيقة نزول المطر بصورة واضحة، وذلك عند قوله تعالى: ((**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**)).[105]

فكل طور من أطوار المطر في نزوله من السماء تأخذه أوضاع النظم الجليل بألفاظها الجزل ومعانيها الفخر وتنسجه سبكًا محكمًا يشع من خلاله فخامة كلام رب العباد وعظمته.

وإليك ما سطره قلم مكي بن أبي طالب: "قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا))، يسوق السحاب حيث يريد، ((ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ))، أي يؤلف قطعه، أي يلصق بعضها إلى بعض ويقربها؛ لأن السحاب يحدث قطعًا قطعًا. قال عبيد بن عمر: "الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتقمّ الأرض قمًّا، ثم يبعث الثانية فتنشئه سحابًا، ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركامًا، أي متراكمًا بعضه على بعض، ثم يبعث الرابعة فتمطره،" ومعنى ((مِنْ خِلَالِهِ)) أي من خلال السماء"[106].

---

[102] سورة الأنعام، من الآية: [38].

[103] سورة النور، من الآية: [43].

[104] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، النورسي (ص 138).

[105] سورة النور، من الآية: [43].

[106] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو طالب حموش بن محمد بن مختار مكي، جامعة الشارقة – الشارقة – 1429هـ – 2008م الطبعة الأولى (ج 8 ص 5130).

ومن هنا، فالآية هذه تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها، وما عرف علميًا في العهد الأخير من السحب الممطرة تبدأ على هيئة عدة خلايا أو وحدات من السحب التي تثير تيارات الهواء الصاعدة فتتحد مكونة السحب الركامية الممطرة (condensation)، وسميت هذه السحب بالركامية لتراكمها في طبقات بعضها فوق بعض، والرياح الصاعدة من الأرض تحمل شحنة كهربائية موجبة (electric charge: proton)، وباتحادها مع الشحنة الكهربائية الموجودة في الفضاء يتكون مجال كهربائي بسبب تحول البخار (evaporation) إلى قطرات دقيقة من الماء تكبر شيئا فشيء إلى أن تسقط الأمطار (precipitation)، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا))، أي أن الله يسوق السحاب برفق بواسطة الرياح ((ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ))، أي يجمع بعض السحاب إلى بعض إلى أن يصير سحبًا ركامية ((فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ))، أي فترى المطر يخرج من خلال هذه السحب.

ومن مظاهر السحب الركامية أنها تنمو في الاتجاه الرأسي، وقد تصل إلى علو كبير جدًا وتظهر لمن ينظر إليها من بعد كالجبال الشامخة، ولا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تعلو به فوق السحاب فيراها من فوقه كأنها الجبال وهذا ما وصفه القرآن للسحب الركامية بقوله: ((وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ))، وإذا علمنا أن الطائرة لم تكن في عصر نزول القرآن الكريم، فإذن في وصف السحب الركامية بالجبال لهو إعجاز علمي للقرآن.

هذا، وإن القرآن الكريم ذكر أن السحب الركامية تجود بالبرد ((مِن بَرَدٍ)). وهذه حقيقة علمية أخرى يعلنها القرآن. وقصة نشوء البرد هو أنه بعد أن تتكون نقط المطر تعمل تيارات الهواء (atmosphere current) الصاعدة على حملها إلى مناطق التجمد في ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها درجة الحرارة إلى 40 أو 50 تحت الصفر، وتلك مرحلة تتحول فيها نقط المطر إلى ثلج كما تجمع حولها أغشية من بلورات الثلج التي تحولت إلى جليد، وهذه المكونات الثلجية يجتمع بعضها ببعض عن طريق التصادم فتنمو ويزداد حجمها بحيث لا يقوى الهواء على حملها فتسقط إلى الارض على شكل البرد.

وهناك حقيقة علمية أخرى ذكرتها الأية وهي أن السحب الركامية هي وحدها التي يمكن أن يتولد منها البرق كما قال تعالى: ((يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ))، والبرق ما هو إلا اشرارة كهربائية هائلة (electric spark)، ولكن ما مصدر هذه الشرارات الكهربائية الهائلة؟ إن مصدرها هو شحنات الكهرباء في نقط الماء التي

داخل السحب، وكذلك الهواء الذي من حولها، فإن نمو البرد داخل السحب يصحبه حتمًا انفصال شحنات كهربائية عظمى (big electric charge)، وتنشأ عن هذه الشحنات ضغوط كهربائية لا تزال تتراكم وتزداد حتى لا يقوى الهواء على عزلها فيتم التفريغ الكهربائي بين الشحنات المختلفة في السحابة نفسها، أو بينها وبين سحابة أخرى قريبة، أو حتى بين السحابة والأرض. ومن أضرار البرق الإصابة بالعمى المؤقت، ولعل الطيارين هم أكثر الناس تعرضًا لذلك، وخصوصًا عند تحليقهم داخل السحب الركامية.

وليس من اللازم أن يتساقط البرد والمطر بمجرد تكونه؛ إذ ربما يحول تيار الهواء الصاعد دون نزوله في مكان معين حتى إذا ما ضعف هذا التيار هوى المطر أو البرد على هيئة زخَات، وهذا معنى قوله تعالى: ((فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ)). كذا منقول بتصرف من كتاب روح الدين الإسلامي[107].

انظر أيها القارئ الكريم! كيف كان النظم التنزيلي يضرب بحجر واحد عصافير، فكم من حقائق علمية انتهت إليها العلوم الكونية الحديثة، والقرآن الكريم قد نوه إليها، بل ذكرها بأروع ما كان وبصورة تجلى حقيقة الأمر. والأمثلة التي بين أيدينا خير دليل على ذلك. والحقائق العلمية إن هي إلا جند من جنود الرحمن الرحيم في جعل إعجاز القرآن الكريم العلمي أكثر وضوحًا في عصر العلم والتكنولوجي، وهو العصر الذي لا يستطيع أن يكذب بصدقية القرآن في كلامه ككتاب سماوي سلم من أيدي التحريف العابثة بقدسيته.

فحمدًا لله تعالى على جعل قرآنه الكريم خالدًا في ذكر التاريخ ومشعًا مزداهرًا للقلوب العاشقة إلى الأسرار القدسية والأنوار الإلهية الباعثة على الإيمان.

المبحث السادس: تقرير عدل المولى في توزيع المياه على الأرض ونسبتها المقررة في ضوء نظم آيات المطر

أقر العلم الجغرافي والعلم الطبيعي مؤخرًا بعدل المولى ﷻ في توزيع المياه على الأرض ونسبتها المقررة، وأنه لا تجور سنة على أخرى في مقدار مطرها. وذلك في دراسة أجراها الدكتور شاهر جمال آغا أستاذ الجغرافيا الطبيعية في جامعة دمشق، وأوضح أن الإعجاز الإلهي والنبوي الشريف، أخبرنا قبل ما يزيد عن 1400 سنة أن ما يصل إلى الأرض من هطول محسوب بدقة ولا يتغير وسطياً من عام إلى آخر، وهو ما يعبر عنه في العلوم الجغرافية والعلوم

---

[107] روح الدين الإسلامي، طبارة (ص 53).

الطبيعية بالتوازن الرطوبي والتهطالي (Moisture equilibrium).

واستدل في ذلك بالحديث النبوي عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**ما من عام أمطر من عام، ولكن يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ**: ((**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ**)) [108]))[109]. وكذلك ما ورد في قوله: ((**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**))،[110] وقوله: ((**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**)).[111]

دليل الإعجاز:

أوضحت الدراسة أن الله خص الأرض بغلافها الأرضي الجغرافي الذي تميزت به عن أترابها من الكواكب الشمسية وسواها المعروفة حتى الآن، وتتفاعل أجزائه بفعالية كبيرة وباستمرار مع بعضها البعض، وذلك عبر النقل المتبادل للطاقة والمادة، مما يجعل من الغلاف الأرضي الجغرافي كتلة طبيعية واحدة متكاملة، وللماء الدور الحاسم في إتمام عمليات النقل والتبادل لما لها من سمات وخصائص فيزيائية وكيميائية ينفرد بها.

وأضافت أن الحديث أثبت الكم المحدود من الهطول السنوي بقوله: ((**من عام أمطر من عام**))، وأما قوله ﷺ: ((**يصرفه حيث يشاء**)) تعني توزيع الهطول على سطح الأرض توزيعاً حدده رب العزة بشكل يحقق التوازن النطاقي والإقليمي على سطح الأرض، والتوازن الرطوبي المنطلق لتحقيق مختلف أشكال التوازن المادي والطاقي الأرضي، وعند الله كل شيء بمقدار ((**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**)).[112]

واستدل صاحب الدراسة بظاهرة الدورة الرطوبية على سطح الأرض على أن مجموع ما يتبخر على سطح الأرض يعادل كمية الهطول السنوية فوقها، ما يثبت بدوره مصداق المعيارية والمقدارية المشار إليها في الآيتين الكريمتين السابقتين وفي الحديث الشريف كذلك.

سر التوازن الاشعاعي:

أكدت الدراسة أن هذا التوازن يحدث نتيجة للتوازن الإشعاعي الحراري الأرضي الجوي، وأوضحت أنه عندما

---

(108) سورة الفرقان، من الآية: [50].

(109) أخرجه الحاكم في المستدرك. انظر: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم، دار الحرمين للطباعة – القاهرة – 1417هـ – 1997م الطبعة الأولى، تعليق: الإمام الذهبي (ج 2 ص 475) رقم3577.

(110) سورة الزخرف، من الآية: [11].

(111) سورة المؤمنون، من الآية: [18].

(112) سورة الرعد، من الآية: [8].

تبلغ أشعة الشمس إلى سقف الجو ينعكس منها ما نسبته 31% مباشرة إلى الفضاء الخارجي وما تبقى من الأشعة 69% يدخل الغلاف الجوي فيمتص منه قرابة 17% والباقي52% أي فإنه يمثل مجموع الأشعة المباشرة والمنتشرة الواصلة إلى سطح الأرض، والتي ينعكس منها إلى الجو قرابة 4%، وهكذا يتبقى من الأشعة ما يعادل 48%، ونجد أن 18 %يصرف إشعاعاً أرضياً فعالاً ذاتياً إلى الجو، وما تبقى أي 30% فإنه يعتبر المخزون الأرضي الإشعاعي الفعلي الذي يتحول جزء منه إلى طاقة حرارية تعمل على تبخير المياه على اليابسة والمحيطات وبنسبة 22% من مجموع الأشعة الممتصة فعلياً من قبل سطح الأرض، أما ما تبقى وهو 8%، فإنها تصرف على عمليات التبادل الحراري الطاقي بين الأرض والجو.

هذه الطاقة التي تعادل بالنسبة لسطح الأرض ماء ويابسة (59) ك. كالوري وسطياً تكفي على مدار السنة تبخير ما مقداره 577 ألف كم3 من المياه السائلة من على سطح الأرض، وحسب قوانين التوازن الرطوبي آنفة الذكر، ستتحول المياه المتبخرة كاملاً إلى مياه سائلة ثانية (هطول) أي بمقدار 577 ألف كم3[113].

هذا، صحيح أن كل شيء مقدر عند الله تعالى كما نطقت به الآية الكريمة السالف ذكرها، وأن الله يصرف الأمطار كيف يشاء، إلا أن تعيين المقدار في ذلك في علم الله تعالى، وعملية الحساب الدقيقة التي رأيتها أيها القارئ الكريم إن هي إلا من حسابات البشر، والعلم بصحتها من عدمه عند الله تعالى.

ومن هنا، لما كان هذا التقرير لم يتعارض وفخامة النظم القرآني فلا بأس من قبوله كتفسير علمي للنص الكريم، إلا أنه لم ندّعِ بأنه الأصح في ذلك، وليس هناك كلام أخر بعده؛ لأنه قد يأتي ما هو أدق منه، حتى لا نحمل النظم القرآني على ما لا يستحقه من معنى. وذلك لأن التطورات في العلوم على توسع مستمر كلما تمر الأيام، والحقائق القرآنية ثابتة لا تتغير ولا تستبدل أبد الآبدين. هذا، والله أعلم.

(113) انظر هذه المقالة في: http://www.akhbarona.com/religion/79344.html

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي أبو السعود، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، تحقيق عبد القادر أحمد عطا.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسى، دار سوزلر – القاهرة – 2002م الطبعة الثالثة، تحقيق محمد إحسان قاسم الصالحى.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار المعارف – مصر، تحقيق الدكتور السيد أحمد صقر.
- الإعجاز في نظم القرآن، د. محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – 1977م الطبعة الأولى.
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد ابن خالويه، دار الكتب المصرية – مصر – 1941هـ.
- أمثال القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة الزمان – بغداد – 1407هـ – 1987م، تحقيق الدكتور موسى بناي علوان العكيلي.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب محمد بن عبد الرحمن القزويني، مكتبة النهضة – بغداد.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة، حسن عباس زكي – القاهرة – 1419هـ، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، مكتبة دار التراث – القاهرة – 1984م الطبعة الثالثة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، أ.د. فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة – 2006م الطبعة الألى.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، مكتبة الخانجي – القاهرة – 1418هـ – 1998م الطبعة السابعة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد المرتضى الزبيدي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – 2000م، تحقيق إبراهيم الترزي.

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس – 1984م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان – بيروت – 1985م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ، دار المنار – القاهرة – 1366هـ – 1947م الطبعة الثانية.
- تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي – بيروت.
- التفسير الوسيط، محمد سيد الطنطاوى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – 1997م الطبعة الأولى.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة – القاهرة – 1422هـ – 2001م الطبعة الأولى، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض – 1423هـ – 2003م، اعتناء به وتصحيح: الشيخ هشام سمير البخاري.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد، دار العلم للملايين – بيروت – 1987م الطبعة الأولى، تحقيق وتقديم: الدكتور رمزي منير بعلبكي.
- روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين – بيروت – 1993م الطبعة الثامنة وعشرين.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الرشيد – بغداد – 1405هـ – 1985م، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – 1980م.
- الكتاب، سيبويه عمرو بن بشر بن عثمان، مكتبة الخانجي – القاهرة – 1408هـ – 1985م، تحقيق: عبد السلام محمد هاورن.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، مكتبة العبيكان – الرياض – 1998م الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وغيره.
- المثلث، عبد الله بن محمد بن سيد البطليوسي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد للنشر– العراق – 1983م، تحقيق الدكتور صلاح مهدي على الفرطوسي.

- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة الكلية – مصر – 1329هـ الطبعة الأولى.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم، دار الحرمين للطباعة – القاهرة – 1417هـ – 1997م الطبعة الأولى، تعليق: الإمام الذهبي.
- المعجزات القرآنية، بديع الزمان سعيد النورسي، مكتبة سوزلر – القاهرة – 2009م الطبعة الثانية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.
- معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر – بيروت – 1397هـ – 1977م.
- مكان النحو من نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، د. إبراهيم محمد عبد الله الخولي، دار البصائر – القاهرة – 2008م الطبعة الأولى.
- المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، مكتبة سوزلر – القاهرة – 2011م الطبعة السادسة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي – بيروت – 1999م، اعتناء به: فواز أحمد زمرلي.
- النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الحنين، مكتبة التوبة – الرياض – 1996م الطبعة الأولى.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو طالب حموش بن محمد بن مختار مكي، جامعة الشارقة – الشارقة – 1429هـ – 2008م الطبعة الأولى.
- http://www.akhbarona.com/religion/79344.html



SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 1، العدد 3، تموز/ يوليو 2015م.

THE QUR'ANIC PRECEDENCE IN DETERMINING THE RELATIONSHIP BETWEEN THE HEART AND MIND AND DIRECTING PERSONALITY AND BEHAVIOR

السبق القرآني في تحديد العلاقة بين القلب والعقل وتوجيه الشخصية والسلوك

د. حمزة حسن سليمان صالح

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

السودان

1436هـ - 2015م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 18/2/2015
Received in revised form 20/3/2015
Accepted 1/4/2015
Available online 15/4/2015

Keywords:

الملخص

يستعرض هذا البحث الرؤى المعاصرة للقلب البشري؛ خلافاً لما استقر عليه الفكر الإسلامي الذي بينه جلّ المفسرين والعلماء من كون القلب هو آلة الإدراك، فقد أدى اكتشاف الجسم البشري ومكوناته إلى رؤى حول كون القلب مجرد مضخة للدم فقط، وأن الدماغ هو مركز العقل والإحساس، وفي آخر المطاف عاد أكثر العلماء ليقرروا دور القلب كأداة للعقل والوعي والإدراك والفكر، وهو ما استقر عليه الفقه واللغة سلفاً. وهذه الورقة البحثية تتجه نحو رؤية جديدة للقلب البشري، فعلى مدى سنوات طويلة درس العلماء القلب من الناحية الفسيولوجية، واعتبروه مجرد مضخة للدم لا أكثر ولا أقل. ولكن ومع بداية القرن الحادي والعشرين، ومع تطور عمليات زراعة القلب، والقلب الاصطناعي، وتزايد هذه العمليات بشكل كبير؛ بدأ بعض الباحثين يلاحظون ظاهرة غريبة ومحيرة لم يجدوا لها تفسيراً حتى الآن!! إنها ظاهرة تغير الحالة النفسية للمريض بعد عملية زرع القلب، وهذه التغيرات النفسية عميقة؛ لدرجة أن المريض بعد أن يتم استبدال قلبه بقلب طبيعي أي منقول من إنسان آخر متبرع أو بقلب صناعي؛ تحدث لديه تغيرات نفسية عميقة، بل إن التغيرات تحدث أحياناً في معتقداته، وما يحبه ويكرهه، بل وتؤثر على إيمانه أيضاً. ومن هنا بدأ الباحثون بجمع معظم التجارب والأبحاث والمشاهدات والحقائق حول هذا الموضوع، ووجدوا أن كل ما اكتشفه العلماء حول القلب قد تحدث عنه القرآن الكريم، بشكل مفصّل ابتداءً، ثم تناوله الأولون من علماء المسلمين شرحاً وتبياناً انتهاءً! وهذا يثبت السبق القرآني في علم القلب، ويشهد على عظمة ودقة القرآن الكريم، وأنه كتاب رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين، وإمام المتَّقين، وصاحب الحقِّ المبين، وعلى آله الطاهِرين وصحْبِه الغُرِّ الطيِّبين.

يستعرض هذا البحث الرؤى المعاصرة للقلب البشري؛ خلافاً لما استقر عليه الفكر الإسلامي الذي بينه جلّ المفسرين والعلماء من كون القلب هو آلة الإدراك، فقد أدى اكتشاف الجسم البشري ومكوناته إلى رؤى حول كون القلب مجرد مضخة للدم فقط، وأن الدماغ هو مركز العقل والإحساس، وفي آخر المطاف عاد أكثر العلماء ليقرروا دور القلب كأداة للعقل والوعي والإدراك والفكر، وهو ما استقر عليه الفقه واللغة سلفاً.

وهذه الورقة البحثية تتجه نحو رؤية جديدة للقلب البشري، فعلى مدى سنوات طويلة درس العلماء القلب من الناحية الفسيولوجية، واعتبروه مجرد مضخة للدم لا أكثر ولا أقل. ولكن ومع بداية القرن الحادي والعشرين، ومع تطور عمليات زراعة القلب، والقلب الاصطناعي، وتزايد هذه العمليات بشكل كبير؛ بدأ بعض الباحثين يلاحظون ظاهرة غريبة ومحيرة لم يجدوا لها تفسيراً حتى الآن!! إنها ظاهرة تغير الحالة النفسية للمريض بعد عملية زرع القلب، وهذه التغيرات النفسية عميقة؛ لدرجة أن المريض بعد أن يتم استبدال قلبه بقلب طبيعي أي منقول من إنسان آخر متبرع أو بقلب صناعي؛ تحدث لديه تغيرات نفسية عميقة، بل إن التغيرات تحدث أحياناً في معتقداته، وما يحبه ويكرهه، بل وتؤثر على إيمانه أيضاً!!

ومن هنا بدأ الباحثون بجمع معظم التجارب والأبحاث والمشاهدات والحقائق حول هذا الموضوع، ووجدوا أن كل ما اكتشفه العلماء حول القلب قد تحدث عنه القرآن الكريم، بشكل مفصّل ابتداءً، ثم تناوله الأولون من علماء المسلمين شرحاً وتبياناً انتهاءً! وهذا يثبت السبق القرآني في علم القلب، ويشهد على عظمة ودقة القرآن الكريم، وأنه كتاب رب العالمين.

القلب في اللغة والاصطلاح

التعريف اللغوي للقلب

جاء تعريف القلب في المصباح المنير بقوله: "(ق ل ب): قلبته قلباً من باب ضرب، حولته عن وجهه، وكلام مقلوب: مصروف عن وجهه، وقلبت الرداء حولته وجعلت أعلاه أسفله، وقلبت الشيء للابتياع قلباً أيضاً:

تصفحته فرأيت داخله وباطنه، وقلبت الأمر ظهراً لبطن: اختبرته، وقلبت الأرض للزراعة، وقلّبت بالتشديد في الكل: مبالغة وتكثير، وفي التنزيل: ((**وقلبوا لك الأمور**))[1]"[2].

وعرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: "القلب عند أهل اللغة تحويل الشيء عن موضعه، يقال: قَلَبه يَقْلِبُه قَلْباً، وقلَّبه أي: حوله ظهراً لبطن، وتقلّب الشيء ظهراً لبطن"[3].

وفي مختار الصحاح: " القلب: الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل؛ قال الفراء في قوله تعالى: ((**لمن كان له قلب**))[4] أي عقل، والمنقلب: يكون مكاناً ومصدراً كالمنصرف. وقلب القوم: صرفهم. وبابه ضرب، وقلبتُ النخلة نزعتُ قلبها، وقلب النخلة: بفتح القاف وضمها وكسرها لبها، والقلب من السوار ما كان قلباً واحداً"[5].

أما الخليل بن أحمد فقد قال في تعريفه للقلب: "القَلبُ مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط"، قال: ما سمي القَلْبُ إلا من تقلبه ... والرأي يصرف والإنسان أطوارا[6].

وجئتك بهذا الأمر قَلْباً أي محضاً لا يشوبه شيء. والقَلْبُ: تحويلك الشيء عن وجهه، وكلام مَقلُوبٌ، وقَلَبْتهُ فانقَلَبَ، وقَلَّبْتُه فَتَقلَّبَ. وقَلَبْتُ فلاناً عن وجهه أي صرفته. والمُنْقَلَبُ: مصيرك إلى الآخرة"[7].

مما سبق اتضح أن كلمة القلب أصلها التقلب، وعدم الثبات على شيء، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء؛ كما أخبر بذلك الصادق المعصوم النبي ﷺ، فعن أنس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: ((**يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك**)). قال: فقلنا: يا رسول الله! آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: فقال: ((**نعم؛ إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها**))[8]. فإذا كان هذا

---

(1) سورة التوبة، من الآية: [48].

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الفيومي أحمد بن محمد بن علي، المكتبة العلمية – بيروت (ج 2 ص 512).

(3) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي، دار صادر – بيروت – 1414هـ الطبعة الثالثة (ج 11 ص 269).

(4) سورة ق، من الآية: [37].

(5) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية – بيروت – 1420هـ - 1999م الطبعة الخامسة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (ص 258).

(6) البيت في التهذيب واللسان، غير منسوب.

(7) العين، الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، دار ومكتبة الهلال – بيروت، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي (ج 5 ص 170).

(8) المسند، أحمد بن حنبل بن محمد أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة الرسالة – بيروت – 1421هـ - 2001م الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين (ج 19 ص 160) رقم12107.

حال رسول الله ﷺ، كان لا يأمن على نفسه وهو رسول الله، فكيف بنا نحن!؟ خاصة مع تلاطم أمواج الفتن في هذا الزمان.

التعريف الاصطلاحي للقلب

في تعريفهم للقلب في الاصطلاح العلمي، قالوا هو: "قطعة من اللحم صنوبرية الشكل، خلقه الله تعالى لضخ الدم في الشرايين لتغذية الجسم، وجذبه ثانياً من الأوردة لإيصاله إلى الرئتين لتطهيره من ثاني أُكسيد الكربون، الناتج من عملية الاحتراق في داخل الجسم، وبعد تطهيره يستعيده القلب ليعيد قذفه في الشرايين، وقد جعله الله مناطًا للحفظ والعلم؛ إما لأنه يمد الأجهزة الحافظة في المخ بغذائها -فهو سبب للحفظ والعلم-؛ وإما لأن الحفظ والعلم من وظائفه"[9].

وقالوا عنه كذلك: "القلب هو المحرك الذي يغذي أكثر من 300 مليون مليون خلية في جسم الإنسان، ويبلغ وزنه (250-300) غرام، وهو بحجم قبضة اليد، وفي القلب المريض جداً يمكن أن يصل وزنه إلى 1000 غرام بسبب التضخم، ويعمل القلب بعد 21 يوماً من الحمل، ويضخ القلب البالغ أكثر من 70 ألف لتر من الدم في اليوم، ويقوم بضخّ الدم والوقود والغذاء إلى جميع أجهزة الجسم عبر شبكة من الأوعية الدموية يتجاوز طولها 150 كيلو متراً، وطيلة حياة الإنسان، فتبارك الله أحسن الخالقين! ... ((**صنع الله الذي أتقن كل شيء**))[10]، ويخفق (أي ينقبض وينبسط) أكثر من 100 ألف مرة في اليوم، وعندما يصبح عمرك 70 سنة يكون قلبك قد ضخ مليون برميل من الدماء خلال هذه الفترة من العمر"[11].

قال الجرجاني: "القلب: مصطلح على اللطيفة الربَّانية بالقلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الصدر، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان"[12].

وعند بعضهم: "والقلب يطلق على أمرَين هما:

الأول: تلك المضغة الصنوبرية التي خلقها الله تعالى في جوف ابن آدم، وهي على هذا المعنى جزء من عالم

---

[9] التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر – 1393هـ – 1973م الطبعة الأولى، ج 8 ص 141).

[10] سورة النمل، من الآية: [88].

[11] القلب بين وظائفه العقلية والحيوية، عزالدين يوسف عفيفي، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م (ص 11).

[12] التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – 1403هـ – 1983م الطبعة الأولى (ص 203).

الشهادة، كما هو معروف في علم الطب العضوي.

والثاني: تلك اللطيفة الروحانية التي لا يعلم أحدٌ بحقيقتها، وهي على هذا المعنى جزء من عالم الغيب"[13].

القلب في القرآن الكريم

جاءت الإشارة إلى القلب في القرآن الكريم بصيغ الإفراد والتثنية والجمع، ومع عدد من الضمائر المختلفة (132) مرة، في ثلاث وأربعين سورة من سور القرآن الكريم، وأضيف إليه أكثر من (36) عملاً ووصفاً[14].

ولما كان جميع الناس إلى وقت قريب يعتقدون بأن القلب هو مجرد مضخة تضخ الدم الفاسد إلى الرئتين لتنقيته، وتتلقى الدم المؤكسد منهما لتضخه إلى مختلف أجزاء الجسم وأولها المخ – الذي لو تأخر ضخ الدم إليه لثوان معدودة لهلك صاحبه-.

وفي ظل سيادة هذا الاعتقاد، نجد أن القرآن الكريم قد تنّزل من قبل ألف وأربعمائة سنة؛ بالتأكيد على أن للقلب وظائف أخرى، منها أنه هو الذي يكسب الأعمال خيرها وشرها؛ فهو مكان الاطمئنان والأمن، أو الانزعاج والخوف والرعب، ونستمع في هذا الصدد لآياته الكريمة تشنف أسماعنا بقول الله تعالى: ((**الذين آمنوا وتطمئن قلُوُبُهُم بذكر الله ألا بذكر اللهِ تطمئنُ القُلُوب**)) [15]. وقال جل شأنه: ((**سنلقي في قلُوبِ الذين كفروا الرعبِ بما أشركوا بالله مالمُ ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين**))[16]. وفي موقع آخر: ((**سألقى في قلوبِ الذين كفروا الرعبَ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**))[17].

---

[13] منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم،، خليل عبد الله الحدري- 1425هـ الطبعة الأولى (ص 54).

[14] إحصاء الباحث بتتبع الآيات والتفاسير.

[15] سورة الرعد، من الآية: [28].

[16] سورة آل عمران، من الآية: [151].

[17] سورة الأنفال، من الآية: [12].

وهو محل الهداية أو الزيغ، وفي ذلك يلفتنا سبحانه وتعالى إلى قوله: ((**ومن يؤمن باللهِ يهدِ قلبَهُ واللهُ بكل شيء عليم**)) [18]، وقوله: ((**فلما زاغوا أزاغَ اللهُ قلُوبَهُم واللهُ لا يهدي القوم الفاسقين**)) [19]، وقوله سبحانه: ((**وأما الذين في قلوبِهِم زيغٌ فيتبعونَ ما تشابه منه ابتغاء الفتنةِ وابتغاء تأويلِهِ**))[20].

وهو موضع الرقة واللين أو القسوة والغلظة، وإلى ذلك تشير الآيات التالية: ((**اللهُ نزَّل أحسنَ الحديثِ كتاباً متشابهاً مثَانِيَ تقشعرُ منهُ جُلُودُ الذينَ يخشَوْنَ رَبَهُم ثم تَلينُ جلُوُدُهُمْ وقلُوبُهُمْ إلى ذكر اللهِ**))[21]، ((**ليجعلَ ما يُلقى الشيطانُ فتنةً للذينَ في قلُوبِهِم مرضٌ والقاسيَةِ قلُوُبُهُمْ وإن الظالمين لفي شقاق بعيدٍ**))[22]، ((**ثم قست قلُوُبُكُم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**)) [23].

وهو محل اليقين والثبات أو الريبة والشك، ويخاطبنا سبحانه وتعالى في ذلك بقوله: ((**وليربطَ على قلُوبِكم ويثبت به الأقدام**))[24]. وقوله: ((**وارتابت قلُوبُهُم فهم في ريبهم يترددون**))[25]، وفي سورة التوبة: ((**لا يزال بنيانُهُمُ الذى بنوا ريبةً في قلُوُبِهِم**))[26].

وهو موضع الإيمان كما هو مكان الكفر، لقوله تعالى: ((**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون**))[27]، وقوله: ((**أولئك الذين كَتَبَ في قلُوبِهِمُ الإيمانَ وأيدَهُم بروح منه**))[28]، وقوله ﷻ: ((**لا يحزنْك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم**

---

[18] سورة التغابن، من الآية: [64].

[19] سورة الصف، من الآية: [5].

[20] سورة آل عمران، من الآية: [7].

[21] سورة الزمر، من الآية: [23].

[22] سورة الحج، من الآية: [53].

[23] سورة البقرة، من الآية: [74].

[24] سورة الأنفال، من الآية: [11].

[25] سورة التوبة، من الآية: [45].

[26] سورة التوبة، من الآية: [110].

[27] سورة الأنفال، من الآية: [2].

[28] سورة المجادلة، من الآية: [22].

تؤمن قلوبُهُم))[29].

وهو محل الخشوع واليقظة أو الغفلة واللهو، قال تعالى في ذلك: ((**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشعِ قلوُبُهمْ لذكر اللهِ وما نزل من الحقِ**))[30]. وقال في الأنبياء: ((**لاهيةً قلُوُبُهُمْ وأسروا النجوى**))[31]. وهو محل التعقل ووزن الأمور أو تضييعها، ومحل البصيرة أو العمى، لقوله جل جلا له: ((**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور**))[32].

وبتتبعنا لآيات الكتاب الكريم نجد إضافة لما ذكرنا أن القلب: محل السلامة أو الحقد، ومحل القصد والعمد أو العشوائية والارتجال، والقلب سبب الانفتاح على أيٍ من الخير أو الشر، أو الانغلاق على أي منهما، وهو محل الخشية والإنابة أو التبجح في المعصية والغي، وهو محل التذكر والفطنة أو النسيان والغفلة، ومحل المحبة والرحمة والرأفة، أو الكراهية والغل والقسوة، ومحل الهداية أو الضلال، وهو موضع الغل، وموضع الطبع، والختم، والحسرة، والوجل، والألفة، وموضع الغيظ، والامتحان، وهو محل الشهادة أو إنكارها، وهو محل الفهم والفقه، أو سوء الفهم واللبس، ومحل غير ذلك من الصفات التي تشكل شخصية الإنسان؛ لأن أعمال العبد إما أن تطهِّر قلبه وتزكيه، أو تتجمع عليه كالران الأسود فتطمسه وتطغيه.

وجاء في نزهة الأعين النواظر: "وذكر أهل التفسير أَن القلب في القرآن على ثلاثة أوجه:

أَحدها: القلب الذي هو محل النَّفس؛ ومنه قوله تعالى: ((**وَلَكِن تعمى الْقُلُوب الَّتِي فِي الصُّدُور**))[33].

والثاني: الرأْي؛ ومنه قوله تعالى: ((**تحسبهم جَمِيعًا وَقُلُوبهمْ شَتَّى**))[34].

والثالث: العقل؛ ومنه قوله تعالى: ((**إِن فِي ذَلِك لذكرى لمن كَانَ لَهُ قلب**))[35]"[36].

---

[29] سورة المائدة، من الآية: [41].

[30] سورة الحديد، من الآية: [16].

[31] سورة الأنبياء، من الآية: [3].

[32] سورة الحج، من الآية: [46].

[33] سورة الحج، من الآية: [22].

[34] سورة الحشر، من الآية: [13].

[35] سورة ق، من الآية: [37].

[36] نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت – 1404هـ – 1984م الطبعة الأولى، التحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي (ص 483).

العلاقة بين القلب والدماغ

منذ ثلاثين عاماً بدأ الباحثون بملاحظة علاقة بين القلب والدماغ، ولاحظوا أيضاً أن للقلب دورا مهما في فهم العالم من حولنا، وبدأت القصة عندما لاحظوا علاقة قوية بين ما يفهمه ويشعر به الإنسان، وبين معدل ضربات القلب وضغط الدم والتنفس في الرئتين، ومن هنا بدأوا يلاحظون أن القلب يؤثر على الدماغ.

ولتوضيح العلاقة بين القلب والدماغ نستمع إلى الدكتور عفيفي يقول: "... ومع أن العلماء يعتقدون أن الدماغ هو الذي ينظم نبضات القلب، إلا أنهم لاحظوا شيئاً غريباً؛ وذلك أثناء عمليات زرع القلب، عندما يضعون القلب الجديد في صدر المريض يبدأ بالنبض على الفور دون أن ينتظر الدماغ حتى يعطيه الأمر بالنبض ... وهذا يشير إلى استقلال عمل القلب عن الدماغ، بل إن بعض الباحثين اليوم يعتقد أن القلب هو الذي يوجّه الدماغ في عمله، بل إن كل خلية من خلايا القلب لها ذاكرة! وهذا ما قاله الغزالي قبل ما يقرب من ألف سنة من اليوم"[37].

والشيء الثابت علمياً أن القلب يتصل مع الدماغ من خلال شبكة معقدة من الأعصاب، وهناك رسائل مشتركة بين القلب والدماغ على شكل إشارات كهربائية، ويؤكد بعض العلماء أن القلب والدماغ يعملان بتناسق وتناغم عجيب ولو حدث أي خلل في هذا التناغم ظهرت الاضطرابات على الفور. وفي هذا الصدد يقول محمد الأمين أحمد: "أجرى أحد العلماء الذين يعملون على نظرية الطاقة القلبية في جامعة أريزونا بحثاً على (300 شخص) تعرضوا لزراعة القلب، ووجد أن الطاقة والمعلومات تتفاعل تبادلياً ما بين القلب والمخ بصورة كهرومغناطيسية، فيتلقى مخ الشخص الذي زرع فيه القلب إشارات كهرومغناطيسية من القلب المزروع تختلف عن الإشارات التي كان يتلقاها من القلب الأصلي"[38].

وجاء في البحر المحيط: "... قيل: إذا قوي الفرح انبسط روح القلب من داخله، ووصل إلى الأطراف، ولا سيما إلى الوجه؛ لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد، فترى الوجه مشرقاً متلألئاً"[39]. وفي ذلك قالوا: "ومن ذلك يمكن القول بأن هناك ارتباطاً بين الدماغ والقلب في إدراك الأشياء وعقلها؛ فالدماغ يُدرك الأشياء بالحواس؛ أو بالتفكير فيها؛ ثم يعقلها القلب فيرفضها أو يقبلها؛ فترجع للدماغ مرة أخرى محملة بالقرار من القلب؛ ويرسل

---

[37] انظر: القلب بين وظائفه العقلية والحيوية، عفيفي (ص 11).

[38] شواهد طبية على علاقة القلب بالعقل، محمد الأمين أحمد، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م (ص 3).

[39] البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، دار الفكر – بيروت – 1420هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل (ج 6 ص 548).

الإشارة اللازمة بسلوك معين؛ أو بقرار معين؛ بحسب ما جاء من القلب، فإذاً هناك ارتباط قوي بين القلب والدماغ، وأن مكان العقل هو القلب، والدماغ وسيط"[40].

وفي أرشيف ملتقى أهل التفسير: "يتحدث العلماء اليوم جدّياً عن دماغ موجود في القلب يتألف من 40000 خلية عصبية؛ أي أن ما نسميه العقل موجود في مركز القلب؛ وهو الذي يقوم بتوجيه الدماغ لأداء مهامه؛ ولذلك فإن الله تعالى جعل القلب وسيلة نعقل به، يقول تعالى: ((**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**))[41]. وهذه الآية حدّدت مكان القلب لكي لا يظن أحد أن القلب موجود في الرأس وهو الدماغ، أو أن هناك قلباً غير القلب الذي ينبض في صدرنا، وهذه أقوال لا تعتمد على برهان علمي"[42].

ولتأكيد هذه العلاقة نستمع إلى هذه الإفادة المهمة: "تقول المعالجة النفسية Linda Marks بعد عملها لمدة عشرين عاماً في مركز القلب: كان الناس يواجهونني بسؤال: ماذا تعملين في هذا المركز وأنت تعلمين أن القلب مجرد مضخة للدم ليس له علاقة بالحالة النفسية للإنسان؟! وكنتُ أجيب بأنني أحس بالتغيير الذي يحصل في نفسية المريض قبل وبعد عملية زرع القلب، وأحس بتغير عاطفته، ولكن ليس لدي الدليل العلمي إلا ما أراه أمامي، ولكن منذ التسعينات تعرفت على إحدى المهتمات بهذا الموضوع وهي Linda Russek؛ التي تمكنت من تسجيل علاقة بين الترددات الكهرطيسية التي يبثها القلب، والترددات الكهرطيسية التي يبثها الدماغ، وكيف يمكن للمجال الكهرطيسي للقلب أن يؤثر في المجال المغنطيسي لدماغ الشخص المقابل!"[43].

"وجدت الباحثة الدكتورة كاندس بيرت أن خلايا الجسم والمخ تتبادل الرسائل فيما بينها بواسطة أحماض أمينية قصيرة السلسلة كان يعتقد سابقاً أنها لا توجد إلا في خلايا المخ ، وقد أثبتت هذه الباحثة وجودها في أعضاء أخرى منها القلب... في عام 2002 نشر الدكتور بول بيرسال، العالم في المناعة النفس عصبية، مؤلف كتاب (شيفرة القلب) نتائج بحثه الذي استغرق 10 سنوات، وشمل 74 شخصاً زرعت فيهم أعضاء، منهم 23 زراعة قلب، وانتهى من بحثه إلى نتيجة مفادها حصول تغيرات في شخصيات المزروع لهم توازي شخصيات المتبرعين،

---

(40) التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، العدد 116، السنة: 34، 1422هـ – 2002م (ص 456).

(41) سورة الحج، من الآية: [46].

(42) أرشيف ملتقى أهل التفسير، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن – 1432هـ – 2010م (ص 12864).

(43) القلب بين وظائفه العقلية والحيوية، عفيفي (ص 13).

وأورد في البحث عدداً من الحالات"[44].

النظام العصبي للقلب

أثبتت دراسات القلب مؤخراً أنه عضو حيوي بشكل هائل وفعال في جسم الإنسان، وأنه يعمل على تواصل دائم مع مخه عبر (40.000) خلية عصبية تم اكتشافها فيه وفي الغشاء المحيط به، والمعروف باسم (Pericardium) أو (الصفاق). كذلك ثبت أن القلب يفرز كمًّا من الهرمونات إلى تيار الدم الذي يضخه إلى مختلف أجزاء الجسم، وأولها المخ. كما ثبت أن المخطط الكهربائي للقلب هو أكبر بمائة ضعف من المخطط الكهربائي للمخ. وفي كل نبضة ينبضها القلب يولّد طاقة مغناطيسية تفوق الطاقة المغناطيسية للمخ بخمسة آلاف ضعف، وبها يتواصل مع المخ ومع باقي أجزاء الجسم. فالقلب يتحدث مع المخ، وينسق معه جميع أنشطته. فكما ينشط المخ بمراكز ذاكرته وحسه بواسطة التغذية الراجعة عبر كلٍ من الشبكات العصبية والدموية، فكذلك القلب الذي يعمل كجهاز تخزين للمعلومات عن طريق التغذية الراجعة عبر كلٍ من الأعصاب والدم[45].

وفي المؤتمر الذي عقد في الأحساء وحضره اختصاصيو القلب من جنسيات مختلفة من جميع أنحاء العالم، أكدت أبحاثه ودراساته الوافية التي عُرضت أثناءه أن هناك خلايا عصبية في القلب مشابهة لتلك الموجودة في الدماغ، وأن وجود تلك الخلايا العصبية في القلب أدى إلى استحداث مجال جديد يدعى علم القلب العصبي أو ما يُصطلح عليه باللغة العربية بـ(المخ القلبي)[46].

وجاء في تقرير من معهد رياضيات القلب في أمريكا: "... والخلايا العصبية التي اكتشفت مؤخرًا في القلب تشابه تمامًا نظائرها في المخ"[47].

وبذلك ثبت بالملاحظات الدقيقة أن القلب هو أكثر أجزاء الجسم تعقيدًا، وأكثرها دقة وغموضًا، وأنه يتحكم في المخ أكثر من تحكم المخ فيه، ويرسل إليه من المعلومات أضعاف ما يتلقى منه، في علاقة عجيبة بدأت الدراسات الطبية المتقدمة في الكشف عنها، ويشبهها أطباء القلب بجهاز إرسال بين القلب والمخ، يعمل بواسطة عدد من الحقول المغناطيسية التي يصدر أقواها من القلب إلى المخ، فيسبق القلب المخ في ردات فعله.

---

[44] شواهد طبية على علاقة القلب بالعقل، محمد الأمين أحمد (ص 1).

[45] مراجعة: پول پرسال، **شيفرة القلب**، The Heart's Code: Tapping the Wisdom and Power of Our Heart Energy, Paul Pearsall, Broadway Books - New York - 1998.

[46] انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث، 3 (72/ 394).

[47] تقرير علمي، معهد رياضيات القلب.

كل ذلك يثبت سبق القرآن الكريم بالتأكيد على هذه المعارف التي لم تكتشف إلا في العقدين الحالي والماضي؛ مما يثبت لكل ذي بصيرة أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، وتعهد بهذا الحفظ تعهدًا مطلقًا حتى يبقى القرآن الكريم شاهدًا على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة القرآن، والحمد لله على بعثة خير الأنام القائل: ((**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**))"[48].

الذاكرة بين القلب والدماغ

لقد دار لغط كثير وجدال محتدم بين علماء الطب عموماً، واختصاصيي القلب خصوصاً، وبين علماء الشريعة الإسلامية حول وجود الذاكرة الانسانية، وعلاقتها بكل من القلب والدماغ، وبتدبرنا لآيات قرآننا الكريم التي تحدثت حول هذا الموضوع، نستمع إلى قول الله تعالى في سورة الأعراف: ((**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**))[49]، هذه الآية الكريمة تبين أن ذاكرة الإنسان التي يفقه بها الأمور محلها القلب، ويؤكد القرآن أيضاً على حقيقة تتعلق بعقلانية القلب، كما في قوله تعالى في سورة الحج: ((**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**))[50].

البروفسور Gary Schwartz اختصاصي الطب النفسي في جامعة أريزونا، والدكتورة Linda Russek يعتقدان أن للقلب طاقة خاصة بواسطتها يتم تخزين المعلومات ومعالجتها أيضاً. وبالتالي فإن الذاكرة ليست فقط في الدماغ، بل قد يكون القلب محركاً لها ومشرفاً عليها. وقد قام الدكتور Gary ببحث ضم أكثر من 300 حالة زراعة قلب، ووجد أن جميعها قد حدثت لها تغيرات نفسية جذرية بعد العملية Linda Marks, The Power Of The Heart.

تشير البروفسور: آمنة محمد صالح إلى أن موقع الذاكرة هو القلب، بقولها: "... وقد أثبت الطب الحديث أن

---

[48] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. انظر: الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي البخاري، (دار طوق النجاة – بيروت – 1422هـ الطبعة الأولى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر (ج 1 ص 34) رقم52.

[49] سورة الأعراف، من الآية: [179].

[50] سورة الحج، من الآية: [46].

بالقلب ذاكرة، وقد أثبت ذلك من وظائف القلب الواردة في سورة الحج: ((**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون أو آذن يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور**)) [51]. ومما يثبت وظيفة الذاكرة للقلب أن الأطباء المختصين وجدوا في نقل القلب من شخص متبرع إلى آخر متلقي أن الأخير [أي المتلقي] يكتسب خصائص شخصية سلوكية للمتبرع مثل بعض الهوايات [التي] لم تكن أصلاً لديه، وهذه الحقيقة تثبت أن الوعي الحركي والذاكرة من عمل القلب أيضاً، وليس من عمل الدماغ فقط، وأثبتت هذه الدراسات في جامعة أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم وضعت أيضاً فرضية أن القلب له دور أساسي في حدوث الحركة والسلوك واتخاذ القرار والإرادة الحرة بإشارة ترسل إلى الدماغ في حالة اليقظة، ثم بارتداد عكسي إلى العضو. وهذه الفرضية أيضاً نشرت في مجلة دراسة الفلسفة في شهر أكتوبر 2011م"[52].

وفي فتح الباري: "... وأما مكان العقل من البدن؛ فهل هو متعلق بالدماغ؟ أم متعلق بالقلب؟ فإننا نجد أن الدلائل القرآنية والأحاديث النبوية تدل على أن مكانه القلب، قال الله تعالى: ((**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**)) [53]، فجعل عقل الشيء وتدبره في القلب، وقال تعالى: ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**))[54]. قال المفسرون: أي عقل، وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره"[55].

وقال ابن تيمية: "... وقيل لابن عباس- رضي الله عنهما- بماذا نلت العلم؟ قال: "بِلِسَانٍ سَؤُولٍ، وَقَلْبٍ عَقُولٍ"[56]؛ فدل ذلك على أهمية القلب، وعلى أنه هو الذي يعقل به الإنسان"[57].

"يؤكد العلماء أن كل خلية من خلايا القلب تشكل مستودعاً للمعلومات والأحداث، ولذلك بدأوا يتحدثون

---

[51] سورة الحج، من الآية: [46].

[52] فرضية حدوث الوعي الحركي بين القلب والدماغ، آمنة محمد صالح، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية - الخرطوم - 1434هـ - 2012م (ص 4).

[53] سورة الحج، من الآية: [46].

[54] سورة ق، من الآية: [37].

[55] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي أبو الفضل بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت - 1379هـ (ج 1 ص 129).

[56] وأصله: في أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج2، ص970.

[57] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - 1408هـ - 1987م الطبعة الأولى (ج 9 ص 303).

عن ذاكرة القلب، ولذلك فإن الله تعالى أكد لنا أن كل شيء موجود في القلب، وأن الله يختبر ما في قلوبنا، يقول تعالى: ((**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**))[58]. ويؤكد بعض الأطباء أن [خلايا القلب] مسؤولة عن التفكير، وعن توجيه الدماغ، ولها دور كبير في التحكم بكل الجسد! ومنهم البروفسور Gary Schwart الذي وثق عشرات الحالات التي تثبت أن للقلب دوراً كبيراً في التحكم بشخصية الإنسان وأفعاله وذكرياته، بل إن القلب هو الذي يحدد مستوى الإيمان أو الكفر لدى الإنسان! ... ويثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن الكريم هو مصدر جميع العلوم القديمة، والحديثة، والمستقبلية، ويكفي هذا إعجازاً للقرآن الكريم، وهذه الفرضية سوف تكون نظرية العصر المفقودة في علم النفس والسلوك والإرادة الحرة والحرية، إن شاء الله، وما يترتب عليها من مردودات إيجابية في: التربية والسلوك. الأخلاق. الإرادة الحرة. القانون. الاقتصاد والسياسة"[59].

وإذا تتبعنا الآيات القرآنية التي تحدثت عن مسائل العلم والتعقل والفهم والاستيعاب، نجد أنه لم يرد قطُّ ذكر أنَّ غير القلب والفؤاد هو من أدوات العلم، بل عُزِيت جميع الوظائف العقلية من تعقل، وتفكر، وتدبر، ونظر، وتأمل وغيرها إلى جهة واحدة، وهي القلب أو الفؤاد أو اللب.

القلب وتوجيه خلايا الدماغ

إن الفهم السائد في الأوساط العلمية إلى وقت قريب هو سيادة الدماغ وتحكمه في جميع خلايا الجسم، وتوجيهه لها، وأن جميع خلايا الجسم تتلقى الإشارات والأوامر من الدماغ بما فيها القلب، ولكن وبعد تقدم العلم وظهور عمليات زراعة القلب، ظهر عكس هذا الفهم، وهذا ما سنلاحظه من خلال الإفادات التالية:

يقول البروفسور: محمد الأمين أحمد: "تحدث العلماء لفترة طويلة عن استجابة القلب للإشارات القادمة من المخ، ولكنهم في السنوات الأخيرة اكتشفوا أن هذه العلاقة ثنائية الاتجاه، وأن كلاهما يؤثر في الآخر، وذكر الباحثون أربعة وسائل يؤثر القلب بها على المخ:

1- عصبياً من خلال النبضات العصبية.

2- كيميائياً بواسطة الهرمونات والناقلات العصبية.

3- فيزيائياً بموجات الضغط التي تنتج عن تدفق الدم إلى الدماغ.

---

(58) سورة آل عمران، من الآية: [154].

(59) أرشيف ملتقى أهل التفسير (ص 12864).

4- بواسطة المجال الكهرومغناطيسي للقلب، وهو أقوى كهربائياً (60 مرة) من المجال الكهربائي للمخ، وأقوى مغناطيسياً (5000 مرة) من المجال المغناطيسي للمخ، ويمكن قياسه من مسافة عدة أقدام بواسطة أجهزة حساسة "[60].

ويؤيد الدكتور إبراهيم بيومي في بحث له الرأي القائل بسيادة القلب على العقل فيقول: "وأما الصلة بين القلب والدماغ وأثرهما في الظواهر النفسية فتلك نقطة خلاف بين أرسطو وجالينوس. ففي حين أن الفيلسوف [ويقصد به أرسطو] يرى أن القلب هو مركز القوى النفسية الرئيسية نجد الطبيب [جالينوس] يصعد بذلك إلى الرأس ويعتبره المهيمن على كل الحياة العقلية. وابن سيناء، وإن كانت منزلته الطبية لا تقل عن درجته الفلسفية، لا يتردد في أن ينتصر لأرسطو. ويصرح: على أي أساس لا أدري، أن الفلاسفة هم أصحاب الرأي، والذين يستطيعون الفصل في مثل هذه المسائل، ومع هذا فإنه لا ينكر ما للدماغ وأعصابه من دخل في الحركة والإحساس. ومهما يكن فلعل هذه الآراء هي منبع تعريف العقل المشهور الذي ردده المتأخرون من مؤلفي العرب، فهم يكادون يجمعون على أنه قوة أودعها الله في القلب ولها شعاع متصل بالدماغ "[61].

المجال الكهربائي للقلب

من الأبحاث الغريبة التي أجريت في معهد رياضيات القلب؛ أنهم وجدوا أن المجال الكهربائي للقلب قوي جداً ويؤثر على من حولنا من الناس، أي أن الإنسان يمكن أن يتصل مع غيره من خلال قلبه فقط دون أن يتكلم!!! كما وجدوا أن دقات القلب تؤثر على الموجات التي يبثها الدماغ (موجات ألفا)، فكلما زاد عدد دقات القلب زادت الترددات التي يبثها الدماغ ... أن القلب يبث ترددات كهرطيسية تؤثر على الدماغ وتوجهه في عمله، وأنه من الممكن أن يؤثر القلب على عملية الإدراك والفهم لدى الإنسان. كما وجدوا أن القلب يبث مجالاً كهربائياً هو الأقوى بين أعضاء الجسم، لذلك فهو من المحتمل أن يسيطر على عمل الجسم بالكامل[62].

---

(60) شواهد طبية على علاقة القلب بالعقل، محمد الأمين أحمد (ص 4).

(61) النفس وخلودها عند ابن سينا، إبراهيم بيومي مدكور، مجلة الرسالة، العدد:198 - 1937م.

(62) مراجعة: Science of the heart, Institute of HeartMath

تأثير القلب على أدمغة وقلوب الآخرين

لم تكن الأوساط العلمية حتى وقت قريب تهتم كثيراً بتأثير القلب على شخصية الإنسان وتوجيه سلوكه، ولكن بدأ هذا الاهتمام مؤخراً بعد ظهور عمليات زراعة القلب ونقل القلوب من شخص لآخر. وبعد هذا ثبت جلياً تأثير قلب الناقل على سلوك الشخص المنقول إليه، ولتأكيد هذه الحقيقة نتابع معاً ما جاء في إفادات المختصين في هذا المجال.

ومع أن العلماء يعتقدون أن الدماغ هو الذي ينظم نبضات القلب، إلا أنهم لاحظوا شيئاً غريباً وذلك أثناء عمليات زرع القلب، عندما يضعون القلب الجديد في صدر المريض يبدأ بالنبض على الفور دون أن ينتظر الدماغ حتى يعطيه الأمر بالنبض.

فهذا البروفسور: محمد حسن سنادة يؤكد هذه الحقيقة بقوله: "... لم يبدأ في الدوائر العلمية الاهتمام بتأثير القلوب على الشخصية والسلوك إلا بعد عمليات نقل القلوب، التي بدأت في جنوب أفريقيا في سنة 1967. بدأ ذلك الاهتمام منذ ثمانينيات القرن العشرين، حين تأكد أن بعض الناس الذين تجرى لهم عمليات نقل قلوب، يعكسون بطريقة دراماتيكية بعض سلوك أصحاب القلوب الأصليين"[63].

وبعد نجاح عمليات نقل القلوب، واستمرار حياة من يعيشون بقلوب منقولة لفترات أطول، أصبح يتضح وبالتدريج أن بعض القلوب المنقولة لها تأثيراتها الوجدانية المنقولة معها على من نقلت إليهم ... تكرار وجود هذه التأثيرات أدى لقول الدكتور كريستيان بيرنارد أول من نجح في نقل القلوب البشرية في جنوب أفريقيا في عام 1967: "إن علينا التخلي عن فكرة القلب الصناعي؛ لأننا وجدنا أن هذا العضو [يقصد القلب] هو أكثر من مجرد محطة ضخ ... وقد أثارت قدراً كبيراً من الجدل حول هذا الموضوع امرأة اسمها كلير سيلفيا (Claire Sylvia) ألفت كتاباً تشرح فيه التغيرات التي طرأت على سلوكها ومزاجها بعد عملية نقل قلب ورئة إليها من رجل، وهي حالة ربما كانت معقدة بسبب نقل أكثر من عضو، وفي كل الأحوال لا زالت هناك نسبة كبيرة جداً من المجتمع العلمي الغربي تصر على أن القلب ليس أكثر من مضخة، إلى جانب هؤلاء نجد عدداً ربما قليل من العلماء يصرون على وجود تأثير للقلوب، بل لبعض الأعضاء الأخرى المنقولة كالكلية والكبد، ... إلخ على المذاق والسلوك. ويعتقد هؤلاء باحتمال وجود أشخاص كثر ممن زرعت فيهم أعضاء منقولة كان يمكن أن يدلوا بمعلومات

(63) تأثيرات القلب على الشخصية من القرآن الكريم ومن عمليات نقل القلوب، محمد حسن أحمد سنادة، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م (ص 8).

لو كانوا أكثر انفتاحاً، غير أن الشائع الآن في الأوساط العلمية هو أن ما يحدث يمكن تفسيره على أساس الذاكرة الخليوية (Cellular Memory) والذواكر ذات العلاقة"[64].

الشيء الثابت علمياً أن القلب يتصل مع الدماغ من خلال شبكة معقدة من الأعصاب، وهناك رسائل مشتركة بين القلب والدماغ على شكل إشارات كهربائية، ويؤكد بعض العلماء أن القلب والدماغ يعملان بتناسق وتناغم عجيب ولو حدث أي خلل في هذا التناغم ظهرت الاضطرابات على الفور.

وباطلاعي حول هذا الموضوع، وقفت على عدد لا يحصى من الحالات المشابهة التي تأثرت فيها قلوب المنقول إليهم تأثراً مباشراً بالقلب الناقل، الأمر الذي يؤكد تأثير القلب في قلوب الآخرين.

القلب.. والإدراك .. والعواطف

وفي هذا الاتجاه فقد أكدت الكثير من الدراسات الحديثة أن القلب هو مركز الإدراك والفهم والعواطف والمشاعر التي تعتري حياة الإنسان.

وها هو الدكتور بول برسال Paul Pearsall يقول: إن القلب يحس ويشعر ويتذكر ويرسل ذبذبات تمكنه من التفاهم مع القلوب الأخرى، ويساعد على تنظيم مناعة الجسم، ويحتوي على معلومات يرسلها إلى كل أنحاء الجسم مع كل نبضة من نبضاته[65].

وفي بحث للدكتور عفيفي أن المعلومات تتدفق من القلب إلى ساق الدماغ، ثم تدخل إلى الدماغ عبر ممرات خاصة، وتقوم بتوجيه خلايا الدماغ لتتمكن من الفهم والاستيعاب، ولذلك فإن بعض العلماء اليوم يقومون بإنشاء مراكز تهتم بدراسة العلاقة بين القلب والدماغ، وعلاقة القلب بالعمليات النفسية والإدراكية، بعدما أدركوا الدور الكبير للقلب في التفكير والإبداع[66].

هناك أمر مثير للاهتمام تشير إليه دراسات زراعة القلب، ألا وهو أن أولئك المرضى الذين استبدلت قلوبهم بقلوب اصطناعية، فقدوا الإحساس والعواطف والقدرة على الحب!

وهناك الكثير من العمليات قد أُجريت وتمت زراعة القلب الاصطناعي، يقول المرضى بعد العملية مباشرة: "إن

(64) The Power Of The Heart, Linda Marks, www.healingheartpower.com - 2003.

(65) راجع: The Heart's Code.

(66) انظر: القلب بين وظائفه العقلية والحيوية، عفيفي (ص 23).

مشاعرهم تغيرت بالكامل، فلم يعودوا يعرفون كيف يحبون أو يعبرون عن عاطفتهم، وحتى مشاعرهم تغيرت تجاه أفراد أسرهم"[67].

"إن معدل نبضات القلب يتغير تبعاً للحالة النفسية والعاطفية للإنسان، ويؤكد الدكتور: J. Andrew Armour أن هناك دماغاً شديد التعقيد موجود داخل كل خلية من خلايا القلب، ففي القلب أكثر من أربعين ألف خلية عصبية تعمل بدقة فائقة على تنظيم معدل ضربات القلب وإفراز الهرمونات وتخزين المعلومات ثم يتم إرسال المعلومات إلى الدماغ، هذه المعلومات تلعب دوراً مهماً في الفهم والإدراك"[68].

إن أداء القلب يتغير أثناء تلقي المعلومات، وهذا يؤكد دور القلب في الإدراك وأن القلب السليم يساعد صاحبه على الفهم أكثر!! فقد أثبت الباحثان Rollin McCraty وMike Atkinson أن هنالك علاقة بين القلب وعملية الإدراك، وذلك من خلال قياس النشاط الكهرطيسي للقلب والدماغ أثناء عملية الفهم أي عندما يحاول الإنسان فهم ظاهرة ما، وجدوا أن عملية الإدراك تتناسب مع أداء القلب، وكلما كان أداء القلب أقل كان الإدراك أقل[69].

ولتأكيد هذه الحقائق فقد أثار أطباء القلب السؤال التالي:

هل للقلب القدرة على التفكير والشعور والعاطفة والانفعال وتخزين المعلومات القريبة والبعيدة في ذاكرة تشبه ذاكرة المخ؟ وجاءت إجابة أطباء القلب بكل من جامعة ييل الأمريكية ومعهد هارتمان بولاية كاليفورنيا (Yale University and Hartman Institute ,California) بأن القلب جهاز فائق التعقيد، وأن من صور هذا التعقيد وجود جهاز عصبي بالقلب يشبه المخ تمامًا، له ذاكرة قصيرة وطويلة الأمد، وقد اتضح ذلك بجلاء عند نقل قلب من إنسان إلى إنسان آخر، فيأخذ القلب المنقول معه من الذكريات والمواهب، والعواطف والمشاعر، والهوايات، والسجايا والتفصيلات الخاصة بالشخص الذي أخذ منه القلب، والتي تبدو غريبة كل الغرابة عن صفات الشخص الذي تم نقل القلب إليه.

---

(67) Washington Post, 11/8/2007

(68) Science of the heart, Institute of HeartMath

(69) The Scientific Role of the Heart in Learning and Performance, Rollin Mc Craty.

القلب مركز الإيمان والإلحاد

جاء في موقع www.heartmath.org: " في: (2008/4/10) نشرت جريدة ديلي ميل قصة مذهلة تؤكد بشكل كبير أن القلب له دور حاسم في الإيمان والكفر والمشاعر والإدراك ... فقد تزوجت امرأة من شاب وبعد سنوات من زواجه، وبسبب إلحاده أراد أن يتخلص من حياته، فانتحر بمسدس في رأسه فمات. ولكن قلبه بقي يعمل فقام الأطباء باستئصاله وهو بحالة جيدة وتمت زراعته لمريض مؤمن يحب فعل الخير جداً، هذا المريض لديه فشل في القلب، وبحاجة لقلب جديد وتم له ذلك، وفرح وشكر أهل الشاب المنتحر صاحب القلب الأصلي وبدأ حياة جديدة.

وجاءت المصادفة ليلتقي بزوجة الشاب المنتحر (أرملته) فأحس على الفور أنه يعرفها منذ زمن، بل لم يخف مشاعره تجاهها، وأخبرها بحبه لها، وأنه لا يستطيع العيش بدونها!! وهنا بدأ القلب يمارس نشاطه، فالشيء الذي أحس به هذا الرجل تجاه زوجة صاحب القلب الأصلي، يؤكد أن القلب لا يزال يحتفظ بمشاعره وأحاسيسه وذكرياته مع هذه المرأة! ولكن هذا الأمر لم يلفت انتباه أحد حتى الآن.

إن الزوج الجديد لم يعد مؤمناً كما كان من قبل، بدأت ملامح الإلحاد تظهر، ولكنه يحاول إخفاءها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وبدأ هذا القلب يعذبه، فلم يعد يحتمل الحياة فانتحر بالطريقة ذاتها التي انتحر بها الشاب صاحب القلب الأصلي، وذلك أنه أطلق رصاصة على رأسه فمات على الفور!!!

وهذا ما أذهل الناس من حوله، فكيف يمكن لإنسان مؤمن يحب فعل الخير، كان سعيداً ومسروراً بأنه يساعد الناس والجميع يحبه، كيف انقلب إلى اليأس والإلحاد، ولم يجد أمامه سوى الانتحار، التفسير بسيط جداً، وهو أن مركز التفكير والإدراك في القلب وليس في الدماغ. ولو كان القلب مجرد مضخة، لم يحدث مع هذا الرجل ما حدث، فقد أحب المرأة ذاتها، وانتحر بالطريقة ذاتها!

هنا أود أن أكرر أن بعض الباحثين يؤكد أن المعلومات تتدفق من القلب إلى ساق الدماغ، ثم تدخل إلى الدماغ عبر ممرات خاصة، وتقوم بتوجيه خلايا الدماغ لتتمكن من الفهم والاستيعاب. ولذلك فإن بعض العلماء اليوم يقومون بإنشاء مراكز تهتم بدراسة العلاقة بين القلب والدماغ وعلاقة القلب بالعمليات النفسية والإدراكية، بعدما أدركوا الدور الكبير للقلب في التفكير والإبداع[70].

يروي أحد المشايخ أن صديقاً له كان يدرس الشريعة ويحافظ على الصلوات وهو مؤمن لا يُشك في إيمانه، شاء

(70) www.heartmath.org

الله أن يُصاب بمرض في الدم مما اضطره للذهاب إلى دولة غربية وتغيير دمه بالكامل، ولكن الأطباء أخذوا الدم من شاب ملحد. وبعد أيام على شفاء هذا المريض، بدأ يحب شرب البيرة ثم بدأ يحب ممارسة الفاحشة مع النساء، ثم ترك الصلاة، وعندما سأله الشيخ لماذا تفعل ذلك ألا تخاف الله، فما كان جوابه إلا أن قال: (ألا زلت تصدق أن الله موجود). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

انظروا !... كيف أثر دم الملحد على المؤمن؟ وكيف انقلب من الإيمان إلى الإلحاد؟ وأصبح يحب العادات التي يحبها الملحد صاحب الدم الأصلي، وهذا يثبت أن القلب يضخ الدم ولكنه يضخ معه سيلاً من المعلومات، إذاً الدم هو وسيلة نقل المعلومات بين القلب والدماغ وأجزاء الجسد الأخرى مثل الرئتين والكبد والعضلات وغيرها[71].

السبق القرآني.. في علم القلب

حدثنا القرآن الكريم عن حقائق في علم القلب لم يكتشفها العلماء إلا في القرن الحادي والعشرين، والأبحاث الجارية اليوم تكشف لنا المزيد والمزيد مما يثبت إعجاز هذا الكتاب العظيم، ولا يصح الجزم بأنّ ما توصل له العلم الحديث اليوم هو آخر المطاف واليقين الذي لاشك معه.

فالقرآن يؤكد أن القلب وسيلة الفقه، والعين هي وسيلة الإبصار، والأذن هي وسيلة السمع. وفي ذلك يقول: ((**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**)) [72].

ويتحدث العلماء اليوم جدّياً عن دماغ موجود في القلب يتألف من 40000 خلية عصبية، أي أن ما نسميه العقل موجود في مركز القلب، وهو الذي يقوم بتوجيه الدماغ لأداء مهامه، ولذلك فإن الله تعالى جعل القلب وسيلة نعقل به، يقول تعالى: ((**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**)) [73].

من خلال الحقائق السابقة رأينا كيف يتحدث العلماء اليوم عن الدور الكبير الذي يلعبه القلب في عملية

---

[71] انظر: أرشيف منتدى الفصيح -1432هـ - 2010م (ج 1 ص 36304).

[72] سورة الأعراف، من الآية: [179].

[73] سورة الحج، من الآية: [46].

الفهم والإدراك وفقه الأشياء من حولنا، وهذا ما حدثنا عنه القرآن بقوله تعالى: ((**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا**))[74] أي أن القرآن حدّد لنا مركز الإدراك لدى الإنسان وهو القلب، وهو ما يكتشفه العلماء اليوم.

قصص كثيرة تؤكد أن صاحب القلب الصناعي غالباً ما يفقد إيمانه بالله بعد عملية الزرع مباشرة، وهذا يعطي مؤشراً على أن الإيمان يكون بالقلب وليس بالدماغ، وهكذا يؤكد بعض الباحثين على أهمية القلب في الإيمان والعقيدة، ولذلك أشار القرآن إلى دور القلب في الإيمان: ((**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**)) [75]. ويقول مؤكداً على أهمية القلب في الهداية: ((**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)) [76].

وهذا غيض من فيض في إعجاز القرآن الكريم في كل مناحي الحياة الإنسانية، وسبقه الذي فاق به الأولين والآخرين على أن يأتوا بمثله أو بعضه ولو تظاهر بعضهم لبعض، ولا يسعنا في ذلك إلا أن نقول تبارك الله أحسن الخالقين.

الناصية ومصدر القرار

والناصية في كتب اللغة وعند أهل العلم المتخصص هي: قصاص من الشعر في مقدمة وأعلى رأس الإنسان[77].

وأثبت أهل التخصص أن الجزء الأمامي من قشرة الدماغ وهو الأقرب لناصية الرأس، يملك العديد من الميزات الهامة جداً، ويتصل مع العديد من الأجزاء الحساسة من الدماغ، إنه يلعب دوراً مهماً في التخطيط والتنظيم. إن هذه الناصية تتحكم بالكثير من الأعمال التي نقوم بها في حياتنا اليومية، مثل اتخاذ القرارات والتكيف مع الأشياء الجديدة، وإيجاد الحلول لكثير من المشاكل.

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: كنت أقرأ قول الله تعالى: ((**كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة**)) [78]، والناصية هي مقدمة الرأس، فكنت أسأل نفسي وأقول: يارب**!** اكشف لي هذا المعنى**!** لماذا قلت: ناصية كاذبة خاطئة؟ وتفكرت فيها أكثر من عشر سنوات، وأنا في هذه الحيرة فأرجع إلى كتب التفسير فأجد

(74) سورة الأنعام، من الآية: [179].

(75) سورة المائدة، من الآية: [41].

(76) سورة التغابن، من الآية: [11].

(77) انظر: العين، الخليل (ج 7 ص 159) ؛ والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (ج 6 ص 100)؛ ولسان العرب، ابن منظور (ج 15 ص 327).

(78) سورة العلق، من الآية: [15].

الجواب ... أجد المفسرين يقولون: المراد ليست ناصية كاذبة، وإنما المراد معنى مجازي وليس حقيقياً، فهو من باب المجاز لا من باب الحقيقة، ناصية كاذب خاطئ، ولما كانت الناصية هي مقدمة الرأس فأطلق عليها صفة الكذب، والمقصود صاحبها، هكذا يقولون، وليست هي مكان الكذب أو مصدر الكذب! إلى ان يسر الله البحث الذي كان عن الناصية [الذي] قدم من أحد العلماء، وهو كندي الأصل، ومن أشهرهم في علم المخ والتشريح والأجنة، وكان ذلك في المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة، وتواجد في ذلك المؤتمر طبيب ومعه زوجته، فلما سمعت زوجته هذا الكلام ناصية كاذبة قالت: والهاء أين راحت؟ فالمفسرون يقولون: المعنى ناصية كاذب خاطئ، قالت: والهاء أين راحت؟ قلت في نفسي: هذه الهاء هي التي دوختني عشر سنوات، الله سبحانه وتعالى يقول لنا: ((ناصية كاذبة خاطئة)). نعود لبحث العالم الكندي وقال فيه: منذ خمسين سنة فقط تأكد لنا أن المخ الذي تحت الجبهة مباشرة الذي في الناصية؛ هو الجزء المسؤول عن الكذب والخطأ؛ هو المكان الذي يصدر منه الكذب ويصدر منه الخطأ، وأن العين ترى بها والأذن تسمع منها، فكذلك كان هذا المكان الذي يصدر منه القرار، هذا مصدر اتخاذ القرار، فلو قطع هذا الجزء من المخ الذي يقع تحت العظمة مباشرة فإن صاحبه في الغالب لا تكون له إرادة مستقلة لا يستطيع أن يختار ... يفقد سيطرته على نفسه، مثل واحد تقلع له عيناه فإنه لا يرى فقال: منذ خمسين سنة فقط عرفنا أن هذا الجزء هو المسؤول عن هذا المكان الذي يصدر منه القرار ... فمن يتخذ القرار؟ نحن نعلم أن الروح هي صاحبة القرار، وأن الروح هي التي ترى، ولكن العين هي الجارحة، والروح تسمع ولكن الأذن جارحة، كذلك المخ هذا جارحة لكن في النهاية هذا مكان صدور القرار ... ناصية كاذبة خاطئة، ولذلك قال الله: ((لنسفعا بالناصية)) أي نأخذه أو نحرقه فسبحان الله! كلمة جاءت في كتاب الله ... وهاء الحرف يعرف الناس سره؛ بعد أن يتقدم العلم أشواطاً وأشواطاً ثم وجدوا أن هذا الجزء من الناصية في الحيوانات ضعيف صغير لأن الحيوان مركز قيادته وحركة جسمه أيضاً من هذا المكان، وإلى هذا يشير المولى سبحانه وتعالى: ((**ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها**))[79]، مركز القيادة .. موجود في الناصية .. من يعلم هذا؟ متى عرف العلماء هذا؟ متى عرفوه؟ عندما شرحوا مخ الحيوانات ... إن القرآن يذكر هذه الحقيقة، وجاء بعلم الله الذي أحاط بكل شيء علماً، وفي الحديث الشريف قال ﷺ : ((**اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك** ...))[80]، والناصية: مركز القيادة ولحكمة،

[79] سورة هود، من الآية: [56].

[80] أحمد، ص215، رقم4318.

شرع الله أن تسجد هذه الناصية، وأن تطأطئ لله، ولعل هناك علاقة بين ناصية تسجد خاشعة وبين سلوك يستقيم، ((**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**))[81][82].

وقد بيّنت دراسات المخ الإلكترونية، ودراسات وظائف الأعضاء الكهربية؛ أن المرضى والحيوانات التي تعرضّت لتلف الفلقات الجبهية الأمامية، فإنهم غالباً ما يُعانون من تناقص في قدراتهم العقلية، كما تم الكشف على أن أي خلل يصيب الفص الأمامي يغير السلوك الطبيعي للإنسان وقد يصل إلى صدور تصرفات شريرة وهبوط في المعايير الأخلاقية والتذكر والقدرة على حل المشكلات العقلية... تعتبر الفلقات الجبهية الأمامية للمخ مركز المبادرة بالكذب، ففيها تتم الأنشطة العقلية المتعلقة بالكذب، ثم تحمل تعليماتها بأعضاء المراسلة خلال فعل الكذب، وكذلك الأفعال الشريرة؛ فإنها تُخطط في الفلقات الجبهية الأمامية قبل أن تُحمل إلى الأعضاء المباشرة للفعل[83].

وقد أثبتت التجارب الجديدة على الدماغ بطريقة التصوير بالرنين المغنطيسي، أن الإنسان عندما يكذب فإن دماغه يعمل أكثر، وبالتالي يتطلب طاقة أكبر، وهذا يعني أن الصدق يعني التوفير في الطاقة وفي عمل الدماغ، بل إنهم يتحدثون اليوم عن حقيقة جديدة؛ وهي أن الدماغ قد صُمم أساساً على الصدق أو كما يعبرون عنه بقولهم " أي أن الصدق هو النظام الافتراضي للدماغ!

ولذلك قال تعالى: ((**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**))[84]. فاللسان هنا يتحرك بأمر من الناصية في الدماغ، ولذلك وصف الله هذه الناصية بأنها: ((**ناصية كاذبة خاطئة**))[85].

---

[81] سورة العنكبوت، من الآية: [45].

[82] راجع: الموقع الالكتروني للشيخ الزنداني.

[83] clipat.maktoob.com/video.php?video_id=210863

[84] سورة الفتح، من الآية: [11].

[85] سورة العلق، من الآية: [15].

الخاتمة

إن المشاهدات والتجارب التي رأيناها في هذا البحث تثبت لنا عدة نتائج في علم القلب يمكن أن نلخصها في نقاط محددة، وكيف أن القرآن حدثنا عنها بدقة تامة:

النتائج

1- القلب ليس مجرد مضخة للدم، وهو يقوم بتخزين المعلومات و يرسل الأوامر.

2- للقلب دور أساسي في الإدراك والفهم والفقه، وقد أشار القرآن لذلك في حديثه عن الكفار والملحدين، وهذا سبق قرآني مهم في الطب.

3- القلب له دور في عملية الخوف والتعلم والحب والكره وكثير من الأحاسيس والمشاعر، وجميع هذه الحقائق أشار إليها القرآن في آياته الكريمة.

4- للقلب دور في عملية الفهم والإدراك وفقه الأشياء من حولنا، وهذا ما حدثنا عنه القرآن؛ أي أن القرآن حدد لنا مركز الإدراك لدى الإنسان وهو القلب، وهو ما يكتشفه العلماء اليوم.

5- يؤكد العلماء أن كل خلية من خلايا القلب تشكل مستودعاً للمعلومات والأحداث، ولذلك بدأوا يتحدثون عن ذاكرة القلب، ولذلك فإن الله تعالى أكد لنا أن كل شيء موجود في القلب.

6- أكثر الأطباء في الغرب اليوم يؤمنون بهذه النتائج البحثيّة رغم صعوبة القطع بدقة صحة النظريّة لصعوبة التجارب وإقامة البراهين القاطعة، ولكن كتابات الذين وقفوا منهم على تجارب خاصة تبرهن على أنّ نظرية الوعي القلبي ليست بالفكرة الجديدة، ولا يستطيع البحث العلمي الجزم بسبقٍ لأحد حيث أنّ دلائل وعي القلب لا يقل عمرها عن عشرات السنين إن لم يكن المئات.

7- تؤكد التجارب الجديدة أن مركز الكذب هو في منطقة الناصية في أعلى ومقدمة الدماغ، وأن هذه المنطقة تنشط بشكل كبير أثناء الكذب، أما المعلومات التي يختزنها القلب فهي معلومات حقيقية صادقة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- أرشيف ملتقى أهل التفسير، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن – 1432هـ – 2010م.
- أرشيف منتدى الفصيح – 1432هـ – 2010م.
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، دار الفكر – بيروت – 1420هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل.
- تأثيرات القلب على الشخصية من القرآن الكريم ومن عمليات نقل القلوب، محمد حسن أحمد سنادة، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م.
- التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، خالد بن حامد الحازمي، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، العدد 116، السنة: 34، 1422هـ – 2002م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية – بيروت – 1403هـ – 1983م الطبعة الأولى.
- التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – مصر – 1393هـ – 1973م الطبعة الأولى.
- الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي البخاري، (دار طوق النجاة – بيروت – 1422هـ الطبعة الأولى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.
- شواهد طبية على علاقة القلب بالعقل، محمد الأمين أحمد، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م.
- العين، الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، دار ومكتبة الهلال – بيروت، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.
- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية – بيروت – 1408هـ – 1987م الطبعة الأولى.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي أبو الفضل بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة –

بيروت – 1379هـ.

- فرضية حدوث الوعي الحركي بين القلب والدماغ، آمنة محمد صالح، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م.
- القلب بين وظائفه العقلية والحيوية، عزالدين يوسف عفيفي، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية – الخرطوم – 1434هـ – 2012م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي، دار صادر – بيروت – 1414هـ الطبعة الثالثة.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية – بيروت – 1420هـ – 1999م الطبعة الخامسة، تحقيق: يوسف الشيخ محمد.
- المسند، أحمد بن حنبل بن محمد أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة الرسالة – بيروت – 1421هـ – 2001م الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الفيومي أحمد بن محمد بن علي، المكتبة العلمية – بيروت.
- منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم،، خليل عبد الله الحدري– 1425هـ الطبعة الأولى.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت – 1404هـ – 1984م الطبعة الأولى، التحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي.
- النفس وخلودها عند ابن سينا، إبراهيم بيومي مدكور، مجلة الرسالة، العدد:198 – 1937م.
- Changes in heart transplant recipients that parallel the personalities of their donors, Pearsall P, Schwartz GE, Russek LG, School of Nursing, University of Hawaii - Hawaii - 2000 www.springerlink.com
- clipat.maktoob.com/video.php?video_id= 210863
- Organ Transplants and Cellular Memories, Paul Pearsall, Gary E. Schwartz, Linda G. Russek, Nexus Magazine, April - May - 2005.

- Spirit and Matter of the Heart, Dorothy Mandel, Grace Millenium, Winter - 2001.
- The Heart's Code: Tapping the Wisdom and Power of Our Heart Energy, Paul Pearsall, Broadway Books - New York - 1998.
- The Power Of The Heart, Linda Marks, www.healingheartpower.com - 2003.
- The Power of the Soul-Centered Relationship, Linda Marks, HeartPower Press - 2004.





SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 1، العدد 3، تموز/ يوليو 2015م.

THE CHAOS OF TERMINOLOGY IN THE THEORY OF TEXT SCIENCE OF LIMIT ON OUTPUT

فوضى المصطلحات في نظرية علم النص

من الحدِّ إلى المخرجات

د. أياد عبد الله – د. عبد الرحمن عبيد حسين – د. عصام الدين بن أحمد

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ماليزيا

1436هـ – 2015م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 18/2/2015
Received in revised form 20/3/2015
Accepted 1/4/2015
Available online 15/4/2015

Keywords:

الملخص

تعد الدراسات النصية النمط المعاصر الأوسع من الدراسات اللغوية الحديثة التي انتشرت على نطاق واسع، وتعد نظرية ديبوغراند ودريسلر النظرية الأحدث في هذا الميدان. واستهدفت الدراسات النصية – التي اختصت بتطبيق معايير نصية لنظرية علم لغة النص على سور أو آيات من القرآن الكريم، باعتبارها أرقى ما وجد من نصوص في الكون – الجانب اللغوي في تحليل النص بتطبيق بعض معايير النظرية السبعة في تحليل النص القرآني، وهذه المعاير هي: السبك، والحبك، والقصد، والتقبلية، والإعلامية، والمقامية، والتناص. فراحت تحلل تماسك الألفاظ وترابطها بشكل تفصيلي وبمهنية واحترافية عالية؛ دون النظر إلى المعاني العظيمة والمراد في تلك الآيات والسور. وتبعاً لذلك أصبح القرآن الكريم نصاً لغويا معداً للتحليل اللغوي فحسب، في حين ينبغي أن يكون أهل اللغة هم أهل التفسير؛ فاللفظ القرآني ولا شكّ يحتاج منا إلى مزيد من العناية والتأمل والتدبر، فكل لفظة في كتاب الله تعالى مقصودة بدقة، وقد جرى استخدامها بشكل أمثل ودقيق؛ وعلى الباحث اللغوي أن يستعين بكتب التفسير لعلماء اللغة، إضافة إلى كتب اللغة لأجل تطوير ما موجود ولأجل الوصول إلى تحليلات جديدة ومعان جديدة تخدم كتاب الله تعالى، بحيث تشكل إضافات نوعية لأعمال المفسرين القدماء الأجلاء.

المبحث الأول: علم لغة النص، إشكالية النشأة والتطور

ظهر النقد العالي في الغرب في خط متوازٍ مع عصر التنوير وبروز المنهج الوضعي في صياغة متكاملة ماداً مجساته إلى التراث الديني والمعارف الإنسانية ولم يسلم منها علم من العلوم، وكانت النصوص الدينية هدف هذا النقد ومنه استمد اسمه، ومع تسارع وتيرة التطور التكنولوجي وتبدل مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ودخول الغرب ومعه العالم في فضاء الحداثة وما بعد الحداثة ظهرت إلى الوجود نظريات جديدة في نقد النصوص التراثية القديمة قامت على قاعدة النقد العالي نفسه، إلا أنها طورت آلياتها بالتوجه نحو الألسنيات وتفتيت بنية علم البلاغة الكلاسيكي وتحطيم الهيبة التي لازمته تاريخياً.

ومنذ بزوغ اللسانيات على يد دي سوسير؛ أصبح موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها[1]، جاعلاً مهمة اللسانيات وصفا لجميع اللغات، واستخلاص قوانينها العامة. فمادة اللسانيات تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية [2]. وأثّر البحث اللغوي لسوسير كثيراً في تطور مناهج لغوية ونقدية تعنى ببنية النص ذاته وبمعايير بنائه. فقد فرق بين اللغة والكلام مما انعكس أثره في تحليل النصوص الأدبية. وساهمت اللسانيات في ظهور كثير من المصطلحات العلمية، وفي مقدمتها مصطلحا الخطاب والنص.

ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين؛ بدأت مرحلة على يد هاريس (1952)؛ عبر دراستيه في تحليل الخطاب، اللتان قدم فيهما تحليلاً لنصوص وأدخل عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين[3]، وتوسع في طروحات سوسير، وحاول تجاوز الجملة مرورًا بوحدات لغوية أخرى[4]. ثم تطورت تلك الجهود في السبعينيات على يد فان دايك (1972) الذي ما لبث أن أعاد بلورتها في كتابه النص والسياق (1977)؛ وفيه وظفت لسانيات النصّ الكثير من المفاهيم التي شكّلت محور الدّراسة بالنسبة لها. ويُعد فان دايك مؤسس علم اللغة النصي، الذي تمخض عنه علم النص. **فلسانيات النص** تعمل على "تحليل مكونات اللغة وإقامة نحو عام

---

(1) دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، الدار العربية للكتاب – تونس – 1980م ترجمة: صالح القرمادي وآخرين (ص 27).

(2) اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2005م الطبعة الثانية (ص 22).

(3) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب – القاهرة – 1992م الطبعة الثالثة(ص 407).

(4) مفهوم النص في التراث اللساني العربي، بشير إبرير، مجلة جامعة دمشق – دمشق، المجلد 23، العدد الأول – 2007م (ص 92).

للنص"[5]. وفي الثمانينات تطور المفهوم على يد "روبرت دي بوجراند ودريسلر" اللذان وضعا الأسس العامة لنظرية علم لغة النص أو ما يعرف بـ "نحو النص".[6]

ونظرية علم لغة النص نظرية تعنى بتحليل النصوص الأدبية بلاغة ونقداً، ومنذ ظهور علماء لسانيين من أمثال دي سوسور وبلومفيلد وتشومسكي وفان دايك وغيرهم؛ اتسمت اللسانيات بصفتين هما: العلمية في تطبيق المقاييس على اللغات، والاستقلالية حين أصبح لها قوانينها وأنظمتها الخاصة. وتأتي هذه النظرية التي تعتمد النص كاملاً بدل الجملة، ثمرة لجهود "روبرت إليان ديبوغراند" من الجامعة الاتحادية لبارابيا بالبرازيل، و "ولفغانغ دريسلر" من جامعة فيينا، تتويجاً لجهود علماء اللسانيات الذين بحثوا في النص وعلم النص. ويرى مؤلفا النظرية أنّ النص حدث تواصلي، يلزم لكونه نصاً أنْ تتوافر فيه سبعة معايير نصية مجتمعة، قاما بشرحها بالتفصيل عبر 65 صفحة[7]، ويزول عن النص هذا الوصف إذا ما تخلف أحد هذه المعايير[8]، وهذه المعايير باختصار، هي:

1- السبك (Cohesion): وهو التماسك الشديد أو التلاحم بين أجزاء النص.

2- الحبك (Coherence): يتمثل في الترابط الرصفي للجمل وعبارات النص. ويعد هذان المعياران من أهم معايير النص، طالما أن الاتساق النصي من أهم الأهداف عند تحليل الخطاب النقدي. ومصطلح السبك أعم من الحبك بل ويحتويه.

3- القصد والتقبلية (Intentionality and acceptability): وهما يربطان منتج النص بمتلقي النص. فمعيار القصد يوضح هدف منشئ النص، فليس نصاً ما هو خطأ أو لغو الكلام وحشوه. أما معيار التقبلية؛ فهو أن النص مقبول لدى المتلقي. والمعياران اللذان يشكلان البديل الحديث للبلاغة التقليدية هما الإعلامية والمقامية:

4- الإعلامية (Informativity): وهو معيار يؤكد وجود مضمون في النص.

5- المقامية أو رعاية الموقف (Contextuality): وهو ما يعني ارتباط النص بموقف سائد يمكن استرجاعه.

---

(5) انفتاح النص الروائي، النص– السياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي بيروت – 1989م (ص 15).

(6) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة – 2001م الطبعة الأولى (ص 11).

(7) Introduction to Text Linguistics, De Beaugrand R. and Dressler W., Longman – London – 1981 (pp 14-79).

(8) Introduction to Text Linguistics, De Beaugrand and Dressler (p 75).

6- التناص (Intertextuality): وهي العلاقات المتولدة داخل النص بين أجزاءه أو مع نصوص أخرى. وهذا المعيار ذو صلة وثيقة بأسلوب النص.

وهكذا وُلد نحو النص نتيجة لدراسات لغوية مكثفة، قامت بها المدارس اللغوية الأمريكية والأوروبية؛ وتفاعلت فيها مجموعة من الثقافات وامتزجت مجموعة من العلوم؛ بعضها لغوي مثل النحو والصرف والأصوات والبلاغة، وبعضها غير لغوي مثل الفلسفة والمنطق والتاريخ والجغرافيا وعلم النفس والاجتماع. مما جعله علماً فاعلاً في تحليل الخطاب النقدي اللغوي للإبداع الأدبي يدرس روابط النص مشخصاً وسائل للترابط العميق التركيبية والدلالية بين الوحدات الجزئية، مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة في نظرة كلية.(9)

وباحثون من أمثال فان ديك(10) وبول ريكور(11) عنوا عناية كبيرة بالنص والسياق والخطاب، وقرر الأخير أن قراءة الخطاب . ضمن نص ديني على وجه الخصوص يشكل مشكلة عسيرة، لأن السياق لا بد أن يعاد تركيبه من جديد لمرور أحقاب على زمن الخطاب الأول، فلا بد أن يزال السياق بصورة تسمح بإعادة بنائه في حالة جديدة(12)، وبعد قراءة جديدة للنص، وتطبيق جديد للآليات الألسنية المعاصرة؛ وهذا يعني بطبيعة الحال إعادة قراءة الأحكام المستخلصة من النص. واجتهاد ريكور ليس إلا تتمة لنظريات وضعية سابقة، ولا يقيم هذا الاجتهاد أي وزن للوحي وطبيعة النص الديني، ويفتتح في الوقت نفسه بوابة كبيرة أمام الألسنيات المعاصرة لطرق أبنية النصوص الدينية بمنهج جديد يخفي ملامحه الأصلية وراء أستار من العلمية، والتفكيكية، والحفريات الحديثة، ودلالات السياق، وما شاكل ذلك من المفاهيم الألسنية المعاصرة.

ولقد كثُرت في عصرنا الحاضر الكتابات في لسانيات النص وعلمِ لغة النّصّ، وأسهمْتَ بحظ وافرٍ في تطوير

---

(9) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان – بيروت – 1998م الطبعة الأولى(ص 41).

(10) ألف كتاباً بعنوان: النص والسياق، 1977م، وترجمه إلى العربية عبد القادر قنيني سنة 2000م؛ وكتاب: علم النص، وترجمه إلى العربية سعيد حسن البحيري، 2001م.

(11) بول ريكور (جون غوستاف): من مواليد 1913 بفالنس بفرنسا، حصل على الدكتوراه سنة 1950 عن فلسفة الإرادة وترجمة كتاب "الأفكار" لهوسرل. من أعماله: فرويد والفلسفة: مقال في التأويل، صراع التأويلات دراسة هيرمينوطيقية، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، من النص الى الفعل: أبحاث التأويل. ويمثل ريكور أهم فلاسفة التأويل و المعبر الحالي عن الهيرمينوطيقا الفلسفية، وأهمية فلسفة ريكور تظهر في معظم الدراسات حول الهيرمينوطيقا (أو التأويل) التي تبدأ في الغالب بتناول جهود شلايرماخر، وديلتاي وهيدجر وجادامر وبعض الأسماء الأخرى وتختتم بأعمال ريكور نفسه.

(12) من النص إلى الفعل: أبحاث التأويل، بول ريكور، مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة – 2001م الطبعة الأولى، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية (ص 86).

الدراسات اللغويّةِ العربيّة الحَديثة. ويبدو أنّ اللسانيين العرب أو الباحثين في لسانيات النص العَرب حديثو العهد في تعاطيهم لهذا الفنّ من جهة المنهج والنظرية والمفاهيم، لذلِك كتب كثيرون في لسانيات النص؛ واستعرضوا المناهج والآراءَ الغربيّةَ، ثمّ اتبعوها بنصوص عربيّةٍ توافَرَت فيها شروط الاستجابَة لتلك المناهج[13]. ولهُم في تطبيقات لسانيات النص على نصوص عربيّة ممارسات واسعة؛ رغم أنها ما زالت في مرحلة النشأة. فمنهم مَن طبّقَ المفاهيم النصية على قصائد الشّعراءِ العرب، ومنهم من طبّق النظرية على نصوص نثرية، ومنهم من طبق النظرية على سور وآيات القرآن العظيم. لقد بدأ تطبيق هذه النظرية في تفسير القرآن الكريم لتحقيق فهم أفضل للخطاب، حيث جرى تطبيق معايير النظرية كاملة أو قسم منها على آيات القرآن الكريم. وهناك دراسات أكاديمية جامعية كثيرة؛ لا سيما في مستوى الدراسات العليا تطبق هذه النظرية أو بعضاً من معاييرها على آيات أو سور القرآن العظيم.

والملاحظ من خلال الدراسات والمقالات المنشورة؛ أنّ تطبيق معايير هذه النظرية أو قسم منها على آيات القرآن الكريم قد جاءت بنتائج لغوية كثيرة من شأنها أنْ تثقل تفسير ومعنى النص بتفاصيل لغوية فحسب؛ وتسهم في تشتيت المعاني العظيمة التي جاء بها كتاب الله عز وجل بين ثنايا معايير النظرية السبعة. وهي في معظمها تخرج بنتائج بديهية كأن يشار إلى أن النص في هذه السورة منتظم ومتماسك.

وفي هذا المقام نسعى إلى توكيد مسألتين مهمتين، أولاهما ثبوت إعجاز القرآن الكريم من الناحية اللغوية والبلاغية – ناهيك عن النواحي العلمية والتشريعية وغيرها – ثبوتاً تاريخياً من قبل أتباع الدين الحنيف ومن قبل خصوم هذا الدين كذلك، وهذا الثبوت يقودنا إلى التسليم الفوري والتلقائي باستعلاء القرآن الكريم وممانعته لكل محاولة بشرية لتطويعه ووضعه جنباً إلى جنب مع الأعمال الشعرية والنثرية للعظماء والمبدعين باستخدام نظريات وتطبيقات ألسنية أينما كان مصدرها ومهما كانت قوتها؛ وثانيتهما، وهو ما نؤكد في الوقت نفسه عليه، أن هذا المنطق العقائدي لن يقودنا إلى نتيجة عفوية مسلماتية تؤكد فشل تلك النظريات سلفاً لإعجاز القرآن وبشرية النظريات، بل سنعمد إلى عرضها وبيانها، وسوق نماذج من تطبيقاتها قبل إصدار أي حكم بالبطلان.

وتوكيد هاتين المسألتين يحول بيننا وبين العبث بهيبة القرآن الكريم، كما يحول بيننا وبين الاستهانة بالعقل

[13] مقدمة في تعريف لسانيات النص، موقع منتدى اللسانيات، عبد الرحمن بودرع – 2007م.

البشري وإصدار أحكام عقائدية لا تستند إلى البراهين والأدلة، والقرآن الكريم نفسه يعلمنا هذه المنهجية السليمة في إعطاء كل ذي حق حقه، فقد قال تعالى في محكم كتابه : ((**قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**))[14]، فدعانا إلى التفكير في مسألة التوحيد والنظر في مزاعم أقوام قالوا أن للرحمن ولداً دونما برهان بل ضرباً في الغيب ودعانا إلى إخبار الزاعمين عن استعدادنا لاتباع ملتهم إن ثبت صحة قولهم، وهذا يعني بطبيعة الحال النظر بعمق في حيثيات معتقدهم وعرضه كما هو ثم تقييمه تقييماً علمياً.[15]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: يَقُولُ تَعَالَى: {قُلْ} يَا مُحَمَّدُ {إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ ولدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} أَيْ لَوْ فُرِضَ هذا لعبدته على ذلك، لأني مِنْ عَبِيدِهِ مُطِيعٌ لِجَمِيعِ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ، لَيْسَ عِنْدِي اسْتِكْبَارٌ وَلَا إِبَاءٌ عَنْ عِبَادَتِهِ، فلو فرض هذا لكان هَذَا، وَلَكِنْ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجوار أيضاً[16]، وقول ابن كثير مستند كبير لنا في تفسير الآية وجعلها نبراساً في التعامل مع كل دعوى أو زعم أو نظرية تتعلق بتوحيد الله تعالى أو كتابه العزيز، فجميعها سواء في نظر العقل، ولا بد من عرضها وتقييمها قبل إصدار الحكم إعلاءً لمنهج القرآن العقلي لا إعلاءً لشأن تلك النظريات والمزاعم!

المبحث الثاني: فوضى الحدّ والتعريف في نظرية علم لغة النص

حرص علماؤنا القدامى في اللغة والأصول والعقائد قبل الخوض في حيثيات أي موضوع على بيان حدّ ما يتناولونه وتقديم تعريف جامع مانع يجمع جزئيات القضية ويمنع معانٍ إضافية من اختراق الحدّ، وحفل هذا الميدان بتبارٍ نشط بين العلماء وتقديم حجج منطقية على أولوية حدّ ما غيره، فكان تعريف الحدّ نفسه يقتضي شرحاً مطولاً غرضه إثبات الجمع والمنع في التعريف؛ وكثيراً ما انتهى الصراع حول الدور في التعريف، أي تعريف الشيء به أو بشيء من لوازمه، إلى فشل في تقديم تعريف حقيقي للمفهوم أو المصطلح.

---

[14] سورة الزخرف، من الآية: [81].

[15] نثبت هنا من باب الإنصاف أن كثيراً من المتكلمين والمفسرين رفضوا التفسير الذي قدمناه، بل قالوا المعنى هو: وأنا أول من يعبد الرحمن بالإيمان والتصديق أنه ليس له ولد!، أو: ما كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين، وهو من عَبِدَ يَعْبِد، أي: أنف يأنف، فيكون هذا تنزيه تَصريحٍ عن الولد، والأول تنزيه له بالكناية، هذا إذا كان معنى قوله: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) ما كان للرحمن ولد. انظر: تأويلات أهل السنّة أو تفسي الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي، دار الكتب العلمية – بيروت – 1426هـ – 2005م الطبعة الأولى، تحقيق: مجدي باسلوم (ج 9 ص 189). وساق الماوردي ستة أقوال كلها تنفي ما قلناه! انظر: النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: السيد بن عبد الرحيم (ج 5 ص 240). ولكن ابن كثير رحمه الله كان أجرأ منهما في النظر في تفسير الآية!

[16] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، دار القرآن الكريم – بيروت – 1402هـ – 1981م الطبعة السابعة، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني (ج 2 ص 297).

ومن أمثلة هذا الفشل تضارب الأقوال في حدّ العلم، فقد عرفه الجبائيان (محمد بن عبد الوهاب ت 303هـ وابنه عبد السلام ت 321هـ) بأنه إدراك الشيء على ما هو به، واعترض عليهما القاضي عبد الجبار وقدم تعريفاً آخر: هو المعنى الذي يقتضي سكون العالم إلى ما تناوله، وتبعه الباقلاني بتعريف مغاير فيه شيء من الدور: معرفة المعلوم على ما هو عليه أو على ما هو به، متأثراً على ما يبدو بتعرف أبي الحسن الأشعري: هو إدراك المعلوم على ما هو به، ونقض صاحب أبجد العلوم التعريفين.... ومرد هذا الفشل والتضارب هو الحرص على الاختصار ومنع المعاني الدخيلة، إلى أن وفق الغزالي في تقديم تعريف فلسفي شمولي للعلم، فقال: العلم هو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية.[17]

ولأن علم لغة النص، كما مرّ سالفاً، اعتمد على جملة من العلوم كعلوم اللغة واللسانيات والبلاغة وعلم الاجتماع والفلسفة والتاريخ فقد كثرت فيه المصطلحات كثرة لا تصدق، فترى الباحث في نص أدبي أو سورة من القرآن ينقلب إلى باحث في التاريخ وعلم الاجتماع ويحشو بحثه بكل ما تيسر من مصطلحات الفنين ونسي دوره الأول والرئيس كمتخصص في اللغة وفنونها، ولما كان من المحال في أيامنا هذه أن يلم الباحث بكل هذه العلوم فقد ظهرت مؤلفات تنم عن جهل واضح بالمصطلحات وحشو كبير بها في الوقت نفسه، ومما زاد الطين بلة أن اللغة العربية كانت حديثة عهد بالتعامل مع هذه النظرية فأغرقت الترجمات التي تنقصها الدقة النظرية بأمواج من الغموض والتعقيد وأدخلته في متاهة مظلمة.

يتبين من نظرية نحو النص أنّ التماسك (Cohesion)، والانسجام (Coherence) هما من أهم المعايير المتعلقة بالنص. فالمعيار الأول (Cohesion): معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي، وبحسب ديبوغراند ودريسلر (1981): "وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي" (النص والخطاب: 103). أي: الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية، بمعنى التشكيل النحوي للجمل وما يتعلق بالإحالة والحذف والربط وغيره.

أما المعيار الثاني (Coherence): فيتعلق برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص. أو العمل على

---

[17] للاطلاع على مزيد من تفاصيل هذه القضية ووجاهة تعريف الغزالي انظر بحثنا: منهج القرآن الكريم في عرض أسس المعرفة، عبد الرحمن عبيد حسين، مجلة علوم إسلامية، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية – ماليزيا، المجلد السابع، العدد الثاني، ديسمبر – 2011م (ص 96-112).

"إيجاد الترابط المفهومي[18]. أي إنها متصلة بالمعنى؛ "فهي علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير إنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية"[19]. فهي إذن الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص، أي الربط المنطقي للأفكار. وهذان المعياران ليسا من نتاج نظرية نحو النص؛ فقد تطرق لهما بالشرح والتنظير جهابذة اللغة والأدب في مصادر التراث العربي؛ وذلك في مصطلحي السبك والحبك. وقد يبدو أن السبك يقابل مصطلح: (Cohesion) والحبك يقابل: (Coherence). لكن المشكلة الماثلة أمامنا اليوم تتجلى في وجود فيض من التداخلات في تلك المفاهيم. إذ كثرت الترجمات، ولم يعد بوسع القارئ/الباحث التمييز بين هذا الكم من المصطلحات؛ فقد بات من الصعب على الباحث الخوض في تلك المصطلحات وتداولها، نظراً لما يشوبها من تداخل شديد، من شأنه أن يدخل الدارس في دوامة. وفي الجدول الآتي توضيح لتلك الإشكاليات:

المؤلف	Coherence	Cohesion
عفيفي (2001)	الحبك/ التماسك/ الانسجام/ الاتساق	السبك/ الربط/ التضام
الباجوري (2010)	الحبك	السبك
سرايعة، ياسين (2007)	الحبك	السبك
تمام، حسان	السبك/ الاتساق	الالتحام/ التضام
قنيني	الالتئام	الاتساق
البحيري، سعيد (1998)	الترابط	التماسك
مصلوح، سعد (1992)	السبك	الحبك
أبو غزالة (1992)	التقارن	التضام

[18] Introduction to Text Linguistics, De Beaugrand and Dressler (p 103)

[19] Cohesion in English, Helliday,and R. Hassan, Longman – London – 1976 (p 8)

الفقي	التماسك الشكلي	التماسك الدلالي أو المعنوي

وهكذا اختلف الأدباء والكتاب المعاصرون في نسبة المصطلحات وتسميتها؛ إذ لم يتم الاتفاق على السبك والحبك، وعلى مصطلح التماسك، والتضام وكذلك الاتساق. وحين ذكر حسان تمام تسمية "الالتحام" مرادفاً للسبك؛ نجد أن "التلاحم" جاء على لسان الجاحظ مرادفاً للسبك ايضاً، وهذا منطقي جداً لأن التلاحم يعني جعل القطع واحدة وهو أقرب إلى مفهوم السبك. ويتضح مما جاء آنفاً أنّ رأي الأكثرية يشير أن التماسك يقابل السبك Cohesion الذي يحقق الترابط الرصفي من خلال أدوات لفظية. والانسجام يقابل الحبك Coherence الذي يعني الاستمرار الدلالي في النص وإيجاد الترابط المفهومي.

لكن هناك من فسر التماسك بالتضام Collocation في حين أنّ التضام يعد جزءاً من معيار التماسك ولا يعبر عن التماسك كله. فالتضام أو المصاحبة هي الفاظ متصاحبة؛ ذكر أحدهما يذكر بالآخر، مثل:

- الدخول في سلسلة مرتبة: آذار نيسان مايس. السبت الأحد
- الجزأ والكل: الإصبع اليد، كلية جامعة
- الجزأ والجزأ: الأنف والأذن
- الاندراج في صنف عام: المعدة الأمعاء الهضم
- علاقات جامعة: مريض طبيب، طائرة مطار، صيدلية دواء.

ثم أنّ الإشكالية ما تزال قائمة حول عنصر (الحذف). فهل الحذف سبك أم حبك؟

لقد شخص السيوطي دور الحذف في تماسك عناصر النص، وأطلق عليه مصطلح (الاحتباك) وهو "أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأوّل"[20]، وهو ما أطلق عليه الزركشي مصطلح الحذف المقابلي (وليس الحذف التقابلي كما وهم بعض الباحثين) وذلك في كتابه البرهان، حيث قال: الحذف

[20] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي الفاروقي الحنفي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - 1996م الطبعة الأولى، تحقيق: علي دحروج(ج 1 ص 107).

المقابلي وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الاخر عليه، كقوله تعالى: ((**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ**))(21)، الأصل فإن افتريته فعلى إجرامي وأنتم براء منه وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون فنسبة قوله تعالى(22)؛ وأفرده بالتصنيف برهان الدين البقاعي في كتاب عنوانه: الإدراك لفن الاحتباك، وعلى حد تعريف الجرجاني فإن الاحتباك هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه(23). من ذلك قوله تعالى: ((**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**))(24). وتعني فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت.

إذن فالحذف عنصر يؤدي إلى الاحتباك؛ وهو يقع ضمن مفهوم الحبك. ومع ذلك فإذا أردنا أنْ ندرج الحذف تحت مفهوم السبك؛ فعلينا أن نبرر ذلك، لا أن نكتفي بمخالفة ما جاء في مصادر التراث. وهناك الاختلاف في النظرة إلى السبك والحبك: حين ذكر هاليداي ورقية حسن: أنّ الربط بالأدوات أكثر أهمية من الربط المعنوي (يعني أن السبك أكثر أهمية من الحبك). وركزا على: الإحالة، الاستبدال، الحذف. أما براون ويول فيؤكدان أن الوحدات اللغوية الظاهرة في سطح الكلام؛ غير كافية. وأن العلاقات المعنوية الضمنية هي الأصل.(25)

المبحث الثالث: القيمة العلمية والأدبية لمخرجات نظرية علم النص

لتأكيد مدى التضارب في استخدام المصطلحات والتهافت على استخلاص نتائج مبهمة وعقيمة إلا أنها مسوقة في ركب من المصطلحات والمسميات الفنية نضرب بعض الأمثلة والشواهد على المخرجات العلمية التي

---

(21) سورة هود، من الآية: [35].

(22) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم(ج 3 ص 129).

(23) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت – 1405هـ الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ص 25).

(24) سورة آل عمران، من الآية: [13].

(25) تحليل الخطاب الجدلي في القرآن دراسة في لسانيات النص، أحمد محمد ذيب أبو دلو، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة اليرموك – الأردن – 2002م (ص 229).

أفرزتها مجموعة من الدراسات الإسلامية، وهي عبارة عن رسائل ماجستير ودكتوراه وأبحاث علمية:

في رسالة جامعية ذكر الباحث بوراس ما يأتي[26]: "من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ((**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**))[27]؛ فلفظ "الذين" لفظ مبهم بينته الجملة الواردة بعده، وهذه الجملة اشتملت على ضمير يعود على الاسم الموصول، هذا الضمير هو "واو الفاعلين" في الفعل "قالوا"، فلولا وجود الضمير المتصل بالفعل لوجدنا شيئاً من التنافر بين العناصر اللغوية أو على الأقل لما وجدنا الاتساق الذي تسعى اللغة إلى وجوده وتعنى اللسانيات النصية بدراسته". لقد وضح هذا المثال بشكل صحيح الربط بالإحالة من خلال جملة الصلة التي جاءت بعد الموصول. وهذا كلام لغوي سليم، وشرح لا شائبة فيه؛ لكن النص يقتضي منا الفهم والتدبر لمقاصد القرآن ومراد الله أكثر من الربط بالإحالة.

وفي رسالة جامعية أخرى، بين الباحث بوستة[28]: في قوله تعالى: ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا**))[29]؛ تحقق اتساق هذه الآية من خلال أداة العطف "الفاء" التي ظهرت في موضعين، الأول: ربط بين الأمر بالسجود وطاعة الملائكة لربهم (فسجدوا)، والموضع الثاني: ربط بينها وبين جملة (كان من الجن). وترابطت هذه الآية ايضاً من خلال أداة العطف "الواو" في ((**أفتتخذونه وذريته**))[30]. وهذا المثال صحيح من الناحية اللغوية أيضاً، لكنه لم يسهم في إيضاح النص ولم يأت بشيء جديد يخدم النص، أو يبين مراد الله تعالى.

وفي شرح لأهمية التكرار في انسجام النص وتماسكه: "من خلال تكرار لفظ الجلالة، تبرز الوظيفة التماسكية

---

[26] القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق "سورة الأنعام أنموذجا": دراسة وصفية إحصائية تحليلية، سليمان بوراس، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر – 2009م (ص 123).

[27] سورة فصلت، من الآية: [30].

[28] الاتساق والانسجام في سورة الكهف، محمود بوستة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر – 2008م (ص 120).

[29] سورة الكهف، من الآية: [50].

[30] سورة ص، من الآية: [120].

للتكرار حيث اتسقت الآيات التي تدور حول اسناد الأمور إلى الله عز وجل، وهذه الآيات انتشر وجودها من بداية السورة حتى نهايتها، ومن ثمّ لم يتحقق الاتساق على مستوى هذه الآيات منفردة فقط؛ بل تعداها إلى اتساق السورة بأكملها، فتكونت بذلك وحدة نصية كلية.[31]

وحول تبيان دور التكرار في انسجام النص، ذكرت باحثة: "إن سورة النور تكررت فيها كلمة النور العديد من المرات، وتكررت (مبين، تبيان، بينات) للإشارة إلى المعنى السابق، ليتضح في الأخير أن الآية الهدف في السورة كلها هي آية المشكاة، فكانت نواة السورة التي تدور في فلكها باقي الكلمات، بل باقي الآيات، وبعبارة أخرى فإن تكرار الكلمات المحورية في السورة ساهم في الانسجام الأفقي تمهيدا للانسجام الكلي بعد ذلك.[32]

وفي دراسة نصية أخرى جاءت خاتمة البحث لتبين الآتي: "ما يتعلق بدراسة القرآن الكريم فنعتمد كون النص يشكل حدثاً اتصالياً تتحقق نصيته، إذا اجتمعت له أربعة معايير أساسية هي: الربط النحوي والاتساق لأنه يهتم بترابط بنى النص ظاهرياً عبر العلاقات النحوية بين المفردات والجمل، ثم التماسك والانسجام الذي يهتم بترابط البنى العميقة في النص أي البنى المضمونية وتماسكها فهو يعد من أهم المعايير في تحقيق النصية، إذ إنه خاصية أساسية تهتم بتماسك المفردة مع جاراتها، والآية الكريمة مع ما يسبقها وما يلحقها، والفقرة مع الأخرى والسورة الكريمة مع ما يسبقها ويليها وصولاً لهذه النصية التواصلية".[33]

وتأتي نتائج بعض الدراسات النصية على الصيغة الآتية: "أكدت الدراسة أن القرآن الكريم نص واحد متسق لغة، بدلالة تبادل الإحالات الشبكي بين موضوعاته النصية، إذ يحيل عنصر إحالي أو عناصر على عنصر إشاري أو عدة عناصر إشارية في سورة أو عدة سور أخرى، والسورة أو السور الأخرى تحمل عنصرا إحاليا واحدًا أو أكثر

---

[31] الاتساق والانسجام في سورة الكهف، محمود بوستة، (ص 136).

[32] الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور أنموذجا، نوال الخلف، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجزائر – الجزائر – 2007م (ص 220-221).

[33] في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم: دراسة نظرية، بشرى البستاني وسن المختار، مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل – الموصل، المجلد 11، العدد 1 – 2011م.

1، 2011م، ص 192.

يعود على عناصر إشارية في سور أخرى، ويحيل عنصر إحالي على عنصر إشاري نصي أو معجمي عدا عن وجود عناصر الاتساق الأخرى، والعامل الأول في وحدة نص القرآن الكريم منتجه سبحانه وتعالى عامل الإحالة الرئيسي، ووحدة النص واتساقه لغويا نتيجة منطقية لوحدته، دلاليا، فالدال يدل على المدلول.[34]

وكانت نتيجة دراسة أخرى تشير: "إنَّ وسائل السبك بنوعيها النَّحوي والمعجمي أدت وظيفة دلالية في سورة الأنعام، تمثَّلت في التأكيد على الموضوع الأساسي الذي نزلت من أجله السورة وهو موضوع الألوهية والتوحيد وحجاج الأنبياء والمؤمنين للمشركين والكافرين"!![35]؛ ويقدم هؤلاء الباحثون إحصائيات دقيقة لكلمات في القرآن الكريم، مثل كلمة الله، الظالمون، الأنعام، ورب[36]، وهي إحصائيات قام بها قبل قرون المستشرق غوستاف فلوجل، وأكملها المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه.

من الواضح بمكان أن تطبيق جميع معايير النظرية؛ يعني أن الباحث سوف يكرس عاملاً واحداً هو "معيار القصدية" في تبيان مراد منشئ النص؛ ونجد أن النصوص تأخذ فيه حيزاً كبيراً على حساب المعنى، وهذا يعني أن المراد من النص هو واحد من سبعة عناصر. ناهيك عن أن معظم الدراسات لم تطبق جميع المعايير في تلك التطبيقات؛ بل راحت تؤكد على قسم منها مثل الانسجام والاتساق والتماسك والإحالة، باعتبار أن الاتساق النصي من أهم الأهداف عند تحليل الخطاب النقدي[37]، وهو ما يعني بالضرورة غض النظر عن المعنى ومراد النص. من جانب آخر نجد أن تلك الدراسات التي لم تطبق المعايير النصية كلها؛ واكتفت بمعيار واحد أو معيارين أو بضعة منها، بحيث لم تبرر سبب هذا المنهج، فجاءت دراساتهم مبتورة أو ناقصة، مع أنّ النص حدث تواصلي؛ يلزم ليكون نصاً أن تتوافر فيه سبعة معايير نصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف أحد هذه المعايير.

بعد استعراض كل هذه النماذج، يمكن أن نتأمل؛ مدى جواز تشريح القرآن المقدس وتحليل ألفاظه لأجل اللغة فحسب؟! لأجل إنارة تطبيقات في السبك والحبك وتفريعاتهما اللامنتهية؟! وعلينا أنْ نتذكر أنّ من مهام اللغوي في هذه الحالة تقديم شيء جديد يشكل إضافة نوعية لجهود السابقين. فهل جاءت أي من هذه الدراسات بنتائج

---

[34] أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، محمود سليمان حسين الهواوشه، أطروحة ماجستير، جامعة مؤتة – الجزائر – 2008م (ص 197).

[35] السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام، أحمد حسين حيال، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية – بغداد – 2011م (ص 172).

[36] انظر على سبيل المثال: السبك النصي في القرآن الكريم، حيال (ص 142).

[37] تجديد الخطاب النقدي، أحمد عفيفي، مقال منشور في مجلة نزوى على شبكة المعلومات. بتاريخ 18/7/ 2009.

تضيف شيئا لجهود العلماء الأقدمين، أو العلماء المعاصرين؛ مثل الشيخ محمد متولي الشعراوي –رحمه الله– في تأملاته أو الأستاذ الفاضل فاضل صالح السامرائي في لمساته البيانية.

وبعد كل ما تقدم، فالنتيجة الأولية التي تبدوا أمامنا؛ هي أن هذه النظرية تؤدي إلى تحليل النص القرآني بتفاصيل لغوية كثيرة، تغطي على المعاني العظيمة المرادة في النص، فتجعل النص القرآني نصا لغويا فحسب، وهذا ليس هو المراد في القرآن. لقد أسهمت الدراسات اللغوية التقليدية؛ مثل إعراب القرآن والدراسات البلاغية في تقديم فهم يليق بالنص القرآني، يقول الحق سبحانه: ((**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**))[38] أي تيسيره على نحو يسهل للناس فهم مقاصده فهما بسيطا ومتعمقا، كل بحسب ومقدار فهمه. ولقد تعددت تفسيرات القرآن الكريم، منها: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي بالاعتماد على قدرة المفسر واللغة العربية. فالتفاسير التي عنيت بالجانب اللغوي للقرآن وكشف أسراره البلاغية، كثيرة منها: "الكشاف" للزمخشري الذي عني بالجانب البلاغي، و"مفاتيح الغيب" للرازي الذي ركز على المتشابه اللفظي، و"البحر المحيط" للأندلسي، و"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود العمادي، وهو من التفاسير البلاغية أيضاً، و"التحرير والتنوير" لابن عاشور، إضافة إلى تأملات الشيخ محمد متولي الشعراوي، و"لمسات بيانية" لفاضل صالح السامرائي الذي اهتم بالفروق اللغوية والبيانية في القران، وغيرهم كثير. إنّ كتاب الله نصوصٌ مشرعة لا يحدُّها زمانٌ ولا مكانٌ، يبقى مشرعا لتفاسير أهل العلم؛ لأن معانيه باقية ومتجدده لا تنضب أبد الدهر.

خاتمة البحث ونتائجه

تعد الدراسات النصية النمط المعاصر الأوسع من الدراسات اللغوية الحديثة التي انتشرت على نطاق واسع، وتعد نظرية ديبوغراند ودريسلر النظرية الأحدث في هذا الميدان. واستهدفت الدراسات النصية – التي اختصت بتطبيق معايير نصية لنظرية علم لغة النص على سور أو آيات من القرآن الكريم، باعتبارها أرقى ما وجد من نصوص في الكون – الجانب اللغوي في تحليل النص بتطبيق بعض معايير النظرية السبعة في تحليل النص القرآني. فراحت تحلل تماسك الألفاظ وترابطها بشكل تفصيلي وبمهنية واحترافية عالية؛ دون النظر إلى المعاني العظيمة والمراد في تلك الآيات والسور. وتبعا لذلك نجد أن القرآن الكريم أصبح نصاً لغويا معداً للتحليل اللغوي فحسب. في

(38) سورة القمر، من الآية: [17].

حين ينبغي أن يكون أهل اللغة هم أهل التفسير. فاللفظ القرآني ولا شكّ يحتاج منا إلى مزيد من العناية والتأمل والتدبر، فكل لفظة في كتاب الله تعالى مقصودة بدقة، وقد جرى استخدامها بشكل أمثل ودقيق؛ وعلى الباحث اللغوي أن يستعين بكتب التفسير لعلماء اللغة، إضافة إلى كتب اللغة لأجل تطوير ما موجود ولأجل الوصول إلى تحليلات جديدة ومعان جديدة تخدم كتاب الله تعالى، بحيث تشكل إضافات نوعية لأعمال المفسرين القدماء الأجلاء. فأهل اللغة والبلاغة حين يتدارسون القرآن الكريم عليهم أن يجدوا ويستخرجوا معرفة جديدة في كتاب الله الذي لا تنضب معانيه ومدلولاته أبد الدهر. فهذه النظرية لو طبقت على نصوص أدبية نثرية أو شعرية، وعرضت تلك النصوص الأدبية للتشريح والتحليل والنقد لربما كان ذلك أفضل بكثير من تطبيقها على نصوص القرآن الكريم.

ولا يزعم الباحثون أنهم وصل إلى نتيجة نهائية، تحدد الموقف إزاء تلك الدراسات النصية؛ فهذه ورقة ما هي إلا نواة بحث علمي متكامل، لابد أن يجري من خلاله استكمال الجوانب والتفصيلات الفنية للموضوع، والوقوف على آراء علماء التفسير وعلماء اللغة في المؤسسات الأكاديمية حول تلك الدراسات، ليصار إلى بلورة رأي علمي رصين ينسجم وأهمية القضية المطروحة للدراسة. ومن هنا يسر الباحث أن يدعوا علماء اللغة وعلماء التفسير ليتفضلوا مشكورين بإبداء آراءهم وملاحظاتهم السديدة حول تطبيق هذه النظرية على نصوص القرآن الكريم، عسى أن نخرج بمقترحات وتوصيات علمية رصينة تتناسب وأهمية الموضوع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الاتساق والانسجام في سورة الكهف، محمود بوستة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر – 2008م.
- أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، محمود سليمان حسين الهواوشه، أطروحة ماجستير، جامعة مؤتة – الجزائر – 2008م.
- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب – القاهرة – 1992م الطبعة الثالثة.
- الانسجام في القرآن الكريم: سورة النور أنموذجا، نوال الخلف، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجزائر – الجزائر – 2007م.
- انفتاح النص الروائي، النص–السياق، يقطين، سعيد، المركز الثقافي العربي بيروت – 1989م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم
- تأويلات أهل السنّة أو تفسي الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي، دار الكتب العلمية – بيروت – 1426هـ – 2005م الطبعة الأولى، تحقيق: مجدي باسلوم.
- تحليل الخطاب الجدلي في القرآن دراسة في لسانيات النص، أحمد محمد ذيب أبو دلو، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة اليرموك – الأردن – 2002م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت – 1405هـ الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، دار القرآن الكريم – بيروت – 1402هـ – 1981م الطبعة السابعة، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني.
- دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، الدار العربية للكتاب – تونس – 1980م ترجمة: صالح القرمادي وآخرين.
- السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام، أحمد حسين حيال، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية – بغداد – 2011م.
- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان – بيروت – 1998م الطبعة الأولى.
- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم: دراسة نظرية، بشرى البستاني وسن المختار، مجلة ابحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل – الموصل، المجلد 11، العدد 1 – 2011م.

- القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق "سورة الأنعام أنموذجا": دراسة وصفية إحصائية تحليلية، سليمان بوراس، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر – 2009م.
- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2005م الطبعة الثانية.
- مفهوم النص في التراث اللساني العربي، بشير إبرير، مجلة جامعة دمشق – دمشق، المجلد 23، العدد الأول – 2007م.
- مقدمة في تعريف لسانيات النص، موقع منتدى اللسانيات، عبد الرحمن بودرع – 2007م.
- من النص إلى الفعل: أبحاث التأويل، بول ريكور، مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة – 2001م الطبعة الأولى، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقية.
- منهج القرآن الكريم في عرض أسس المعرفة، عبد الرحمن عبيد حسين، مجلة علوم إسلامية، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية – ماليزيا، المجلد السابع، العدد الثاني، ديسمبر – 2011م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي الفاروقي الحنفي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – 1996م الطبعة الأولى، تحقيق: علي دحروج.
- نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة – 2001م الطبعة الأولى.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: السيد بن عبد الرحيم.

المراجع الأجنبية:

- Introduction to Text Linguistics, De Beaugrand R. and Dressler W., Longman – London - 1981.
- Cohesion in English, Helliday,and R. Hassan, Longman – London - 1976.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتمد مجموعة مجلات_**المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)** أعلى المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الأبحاث إلى مستوى العالمية، وتضيف للبحث في حال التزام الباحث بها ترقية حقيقة لمستوى بحثه، وكذلك تعزز من خبرته في مجال **النشر العلمي**؛ إن جملة المواصفات الواردة في هذا الدليل التوجيهي؛ تضفي على أبحاثنا شكلاً علمياً يعزز من مضمونها ويخرجه إلى القارئ بصيغة تتناسب مع تطور **ضوابط النشر العلمي** ومعارفه، مما يحقق مواكبة فاعلة لمستجدات النشر المعرفي.

تعليمات للباحثين:

1- ترسل نسختين من البحث **لقسم النشر على الإيميل: (publisher@siats.co.uk)** تحت برنامج Microsoft Word واحدة بصيغة (Word) ، وأخرى بصيغة (PDF).

2- يُكتب البحث بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) بمسافات (**واحد ونصف**) بين الأسطر شريطة ألا يقل عدد الكلمات عن **4000** و لايزيد **عن5000** كلمة، حجم الخط 16 ,للغة العربية (**Traditional Arabic)** و **12** للغة الإنجليزية (**Time New Roman**)، بما في ذلك الجداول والصور والرسومات , ويستثنى من هذا العدد الملاحق والاستبانات.

3- واجهة البحث: يُكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وأسفل منه تكتب أسماء الباحثين كاملة باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، وسنة النشر بالهجري والميلادي.

4- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم داخل البحث لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي، وتشمل العناوين الرئيسية: ملخص البحث وتحته الكلمات المفتاحية، (**ABSTRAC** وتحته **KEYWORDS**)، المقدمة، البحث وإجراءاته، النتائج، المصادر والمراجع.

5- يرفق مع البحث ملخص باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تزيد كلمات الملخص على **(150)** كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات المفتاحية **KEYWORDS** على ألا تزيد على **(5) كلمات**، مع ملاحظة اشتمال الملخص على أركانه الأربعة: المشكلة والأهداف والمنهج والنتائج.

6- يقسم البحث إلى مباحث ومطالب تُكتب وسط الصفحة بخط سميك.

7- تطبع الجداول والأشكال داخل المتن و ترقم حسب ورودها في البحث، ويكون لكل منها عنوان خاص، ويشار إلى كل منها بالتسلسل، وتستخدم الأرقام العربية (1, 2,3...) في كل أجزاء البحث.

8- كل بحث يجب أن يشمل على مانسبته 20 % من المراجع الأجنبية ويستثنى من ذلك أبحاث الشريعة واللغة العربية.

9- مدة تعديل البحوث: يعطى الباحث مدة أقصاها **3 أشهر** لإجراء التعديلات على بحثه إن وجدت، وللمجلة الحق بعد ذلك في رفض البحث رفضا نهائيا حال تجاوز الباحث المدة المحددة للتعديل.

10- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم متابعة إجراءات النشر.

11- لا تجيز المجلة سحب الأبحاث بعد قبولها للنشر بأي حال من الأحوال ومهما كانت الأسباب.

12- (التوثيق) قائمة المراجع:

- تهمش المراجع في المتن باستخدام الأرقام المتسلسلة، وتبين بإيجاز في قائمة بآخر البحث بحسب تسلسلها في المتن؛ على أن توضع قبل قائمة المصادر والمراجع.
- وكيفية هذا الإجراء: أن يقوم الباحث بوضع حاشية سفلية بطريقة إلكترونية لكل صفحة كما هو معهود، ثم بعد أن ينتهي الباحث من بحثه كاملا يقوم بنقل هذه الحواشي مرة واحدة إلى نهاية البحث عن طريق اتباع طريقة ذلك من خلال هذا الفيديو التوضيحي (*تعلم وورد: نقل الحواشي السفلية الى آخر صفحة دفعة واحدة*)

t=87s&v=al_g_hAweCU?https://www.youtube.com/watch

https://youtu.be/al_g_hAweCU

للإشارة إلى المرجع في الموضع الأول، هكذا:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2. ج: 2، ص: 145.

وفي المواضع الأخرى له يشار إليه، هكذا:

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق، ج: 3، ص: 150.

- توثق **المصادر والمراجع** في قائمة واحدة في نهاية البحث، وترتب هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف، وذلك باتباع الطريقة التالية:

الكتاب لمؤلف واحد:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2.

للمؤلف أكثر من كتاب

ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمذاني. (1979). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ـــــــــ. (1992). إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الكتاب لمؤلِفَين اثنين:

البغا، مصطفى ديب. مستوى، محي الدين. (1996). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

الكتاب لثلاث مؤلفين أو أكثر:

محمد كامل حسن وآخرون. (2005). التجديد. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

المقالة في مجلة علمية:

راضي، فوقية محمد. (2002). "أثر سوء المعاملة وإهمال الوالدين على الذكاء". المجلة المصرية للدراسات النفسية. المجلد: 12. العدد: 36. ص 27-36.

المقالة في مؤتمر:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2018). "أثر المرأة في الدعوة والتربية في ضوء القرآن الكريم". المؤتمر الدولي للقرآن الكريم في المجتمع المعاصر. ماليزيا: جامعة السلطان زين العابدين.

الرسالة العلمية:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2016). "منهج ابن زنجلة في توجيه القراءات في كتابه حجة القراءات". رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين.

المؤلفات المترجمة:

القاضي، عبد الفتاح. (د. ت). تاريخ المصحف. (تر: إسماعيل محمد حسن). ترنجانو: المؤسسة الدينية.

13- عند قبول البحث للنشر يوقع الباحث على انتقال حقوق ملكية البحث الى إدارة معتمد

14- لهيئة التحرير الحق بإجراء أي تعديلات من حيث نوع الحروف ونمط الكتابة، وبناء الجملة لغوياً بما يتناسب مع نموذج المجلة المعتمد لدينا.

15- قرار هيئة التحرير بالقبول أو الرفض قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها في عدم إبداء الأسباب.

16- يمكن للباحث الحصول على بحثه المنشور والعدد الذي نشر فيه بحثه من موقع المجلة إلكترونياً.

ملاحظة: عزيزي الباحث إن هذه المواصفات مأخوذة عن لوائح دولية مُعتمدة، وهي تعزز من مستوى بحثك من حيث الشكل الذي لا يقل أهمية عن المضمون، وإن أية مخالفة لها ستكلفك تأخيراً إضافياً يمكن تجنبه في حال الالتزام بها.

آليات النشر والإحالة:

بعد تسلم إدارة المجلة نسخة البحث من الباحث، تقوم بإحالتها إلى المحكمين، وتلتزم بمدة لا تزيد عن **30** يوماً لتزويد الباحث بتقرير عن بحثه يتضمن الملاحظات، بعدها يمهل البحث مدة لا تزيد عن **90 يوماً (3 أشهر)** للأخذ بالملاحظات .

ينشر البحث بعد أول أو ثاني عدد يعقب تاريخ إصدار خطاب قبوله للنشر على الأكثر، حسب أولوية الدور وزخم الأبحاث المُحالة للنشر.

CONTANT